مجالس في العلم

لفضيلة الشيخ
محمد بن رمزان الهاجري آل طامي

الاستقامة

دار التوحيد
المغرب

مجالس في العلم

لفضيلة الشيخ
محمد بن رمزان الهاجري آل طامي

دار التوحيد
المغرب

الاستقامة

حُقُوقُ الطَّبعِ مَحفُوظَة

الطَّبعَةُ الأُولَى

١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م

رقم الإيداع : ١٩٥٦٣ \ ٢٠٠٩

جمهورية مصر العربية - القاهرة
ش الهدي المحمدي - أحمد عرابي - مساكن عين شمس
ت: ٠٠٢٠١٢٧٤٨٣٢٦٣-٠٠٢٠١٨٥١٨٣٤٤٢
تليفون وفاكس: ٠٠٢٠٢٢٩٨٧٦٣٧٧
dar.alestkama@yahoo.com
dar.alestkama@hotmail.com

المملكة المغربية - فاس - شارع وهران - المنفلوري ١
هاتف المكتبة ٠٠٢١٢٠٦٦٤١٣٧٠٤٣ - ٠٠٢١٢٠٦٥٦٢٨١٨٥٨
Email: dar_tawhid@yahoo.fr

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله تعالىٰ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

هذه سبع محاضرات للشيخ محمد بن رمزان الهاجري في العلم، قامت مكتبة دار التوحيد بالمغرب بطبعها بعد إذن الشيخ، وقد قمت بتخريج أحاديثها قدر المستطاع، والشيخ محمد بن رمزان الهاجري من كلفني بالاعتناء بها، والله الموفق.

كتبه

أبو بكر المهدي المغربي

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا؛ من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فنقول للإخوة: مرحبًا بوصية رسول الله ﷺ، كما أتىٰ في «جامع الترمذي» من حديث أبي سعيد: كان إذا رأىٰ الشاب؛ قال: مرحبًا بوصية رسول الله ﷺ[1].

فنرحب بكم بهذا الترحيب الذي كان يرحب به صحابة رسول الله ﷺ، فمرحبًا بوصية رسول الله ﷺ.

اختار الأشياخ الكرام أن يكون عنوان «مجالس في العلم»، وأنا ممن هو بحاجة أن يجلس في مجالس العلم للتعلم، ولكن ظنوا بي، وإن كنت أرىٰ في نفسي أنني دون ذلك، ولكن أسأل الله تبارك وتعالىٰ أن يوفقني وإياكم للعلم النافع والعمل الصالح.

❁❁❁

مجالس في العلم

والمجلس: هو المكان الذي يجلس فيه.

والمجالس علىٰ أنواع: مجالس هدىٰ ومجالس هوىٰ، مجالس خير ومجالس شر،

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٥٠)، وابن ماجه (٢٤٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٥١).

مجالس علم ومجالس لهو، مجالس شهوات وشبهات ومجالس آيات وأحاديث، مجالس دنيا ومجالس الآخرة، مجالس يقوم أصحابها كأنما تفرقوا عن جيف ومجالس هي رياض من رياض الجنة.

جعل الله مجالسنا وإياكم من رياض الجنة، فهي خير المجالس، وأطيب المجالس، وهي التي أمر النبي ﷺ أن يجلس فيها، سماها رياض: «**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا**»[1]، وهي مجالس العلم.

مجالس في العلم، ما هو العلم؟

العلم: هو معرفة الحق بالأدلة الشرعية، ومن أجمل ما قيل في هذا شعرًا:

العلم قال الله قال رسوله ... قال الصحابة هم أولو العرفان
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة ... بين الرسول وبين قول فلان[2]

هذا هو العلم.

العلم آية من كتاب الله، العلم حديث صحيح عن رسول الله ﷺ، العلم أثر معتمد، العلم إجماع معتبر، العلم قياس صحيح، هذا هو العلم الذي من سلكه سلك الله به طريقًا إلىٰ الجنة كما أتىٰ في «صحيح مسلم».

وأتىٰ حديث عند أبي داود والترمذي وأيضًا صححه الشيخ ناصر عن أبي الدرداء ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله**

(١) أخرجه أحمد (١٢١٤)، والترمذي (٣٥١٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥٦٢).

(٢) القصيدة النونية، الكافية الشافية لابن القيم، فصل: في صف العسكرين، وتقابل الصفين واستدارة رحىٰ الحرب العوان وتصاول الأقران. ص ٢٢٦.

به طريقًا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات، ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم علىٰ العابد كفضل القمر ليلة البدر علىٰ سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافر»[1].

وفي هذا المجلس سنتناول فقرات هذا الحديث، إذ فيه الإخلاص في الطلب، وفيه الوعد بالجنة، وفيه تأييد من الملائكة، وفيه دعاء واستغفار، وفيه فضل العلم. وفيه فضل العلماء، فإلىٰ هذا الحديث: «**من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا من طرق الجنة**»، وتقدم معنا بيان العلم، فأشرف ذلك ما كان يتعلق بحق الله تبارك وتعالىٰ، العقيدة، أسمائه، صفاته، القرآن، حفظ القرآن؛ كلامه سبحانه ﷻ، فيعتني طالب العلم بهذه المسائل؛ فهذا هو العلم؛ فمن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، هنا إرادة وفقه وخيرية، فالخيرية لمن فقه وتمام الفقه هو العلم والعمل:

وعـــالم بعلمـــه لم يعملـــن ... معـذب مـن قبـل عبـاد الـوثن

وهو من الثلاثة الذين تسعر بهم النار.

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٢٠٨)، والترمذي (٢٦٨٢)، وأبو داود (٣٦٤١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٩٧). وهذا الحديث شرحه الإمام ابن رجب الحنبلي في جزء ماتع سماه: ورثة الأنبياء شرح حديث أبي الدرداء. فليراجع. وقد قال الشيخ عبد الرزاق البدر: علىٰ طالب العلم أن يقرأ هذا الشرح ولو مرة في عمره.

إذًا الإرادة هنا: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»[(١)]؛ فلينظر العبد إلىٰ نفسه وأي العلوم سلك، فإن كان فقهًا في الدين، فهذه من إرادة الخير له، وكما قال النبي ﷺ: **«خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا»**[(٢)]، خياركم في الجاهلية: الأشراف ذوو الجاه والمنزلة، فربما فاقهم من فقه وهو دونهم من حيث تلك الاعتبارات؛ فإذا كانوا خيارًا في الجاهلية، ومع ذلك دخلوا الإسلام ولم يفقهوا فيه، وأتىٰ من فقه فيه فهو أعلىٰ في المرتبة؛ فإن فقهوا فيه زادهم ذلك وزانهم، فإن دل فإنما يدل علىٰ أن مرتبة العلم شرف يفوق كل شرف.

فهو عزٌّ دون سلطان، وقوة دون جند، ومنعة دون حارس، ورفعة دون مال وجاه، فإن الله تبارك وتعالىٰ يرفع به أقوامًا ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، فالرفعة بالعلم، ولكن هذا العلم مما يسلك به لماذا؟ لوجه الله، ونركز في هذا المجلس حول عناية طالب العلم في إخلاص النية.

وسئل الإمام أحمد: كيف يكون الإخلاص في طلب العلم؟ قال عبارة جميلة، قال: «أن يرفع به الجهل عن نفسه»، أن يكون قصده رفع الجهل عن نفسه، ثم رفعه عن الآخرين، هذا هو الإخلاص، فرق بين من يتعلم ليتكلم، وبين من يتعلم ليعمل بالعلم.

دعـــا العلـــم إلىٰ العمـــل ... فـــإن أجابـــه وإلا ارتحـــل[(٣)]

---

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٧٤)، ومسلم (٢٣٧٨).

(٣) اقتضاء العلم العمل، للخطيب البغدادي، تحقيق الشيخ الألباني (ص ٣٥).

وثمرة العلم العمل به، ما هي ثمرة العلم؟ العمل به، فلا يتعلم ليماري بذلك السفهاء، أو يتصدر المجالس، أو توطأ عقبه، أو يكثر الجمع حوله، أو يشار إليه بالبنان، أو يكون ذا وجاهة في الناس، والعلم يقود لهذه الأمور، فلا تجعلها لك قصدًا، إنما هي تأتي تبعًا، ولكن صحح النية، وأخلص القصد، وارفع الجهل عن نفسك، ومن رأىٰ أنه بلغ في العلم الغاية، فهذا عنوان الجهل، فلا يزال الإنسان بحاجة إلىٰ العلم، ولذلك بوب البخاري «باب العلم قبل القول والعمل»، فاحتج بآية من كتاب الله، إذًا العلم قبل القول والعمل.

«**سلك الله به**» هذا لفظ مسلم، وهنا قال: «**من سلك طريقًا يطلب به علمًا سلك الله به طريقًا من طرق الجنة**»، إذًا طرق الجنة من حيث الأعمال الصالحة كثيرة، كما قال سبحانه ﷻ. ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وهنا تعديد السبل من حيث الأنواع، وإلا من حيث الجنس، فهو واحد ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣]، تفرق بكم عن سبيله، هذا من حيث أنه سبيل واحد، وهنا ذكر سبلًا، وهنا ذكر طرقًا من حيث أنواع الأعمال الصالحة، إذًا هنا ذكر قصد العلم، ثم ذكر نتيجته، والثمرة المؤدية به إليه، وهي أنه طريق موصل للجنة، أنت سالك طريقًا للعلم، فربما يأتيك الأجل، أنت في طريق من طرق الجنة، مسافر في تحصيل العلم، ربما يأتيك الأجل أنت في طريق من طرق الجنة، أنت سالك سبيلًا من طرق الجنة، وهذا فضل عظيم، فالنبي ﷺ عندما ينبه من حوله،

ويذكر الصحابة، لا يعدهم علىٰ شيء في الدنيا وإنما جميع الوعود في الآخرة، يجد آل ياسر يتعذبون يقول: «**صبرًا يا آل ياسر، إن موعدكم الجنة**»[١]، وهذا مما يشحذ الهمم، إذًا سلك به طريقًا من طرق الجنة؛ لأن طريق الجنة لا يعرف إلا بالوحي، وإلا لأدركه عقلاء بني آدم، ولعلمه أذكياء العالم، ولكن لا يعرفون ذلك إلا بطريق الوحي، فهذا هو الطريق الموصل للجنة، ليس الأمر بحاجة إلىٰ ابتكار، أو اكتشاف، أو اختراع، أو تطوير، إنما هو شرع مطهر رضيه الله سبحانه ﷻ وأكمله وأتمه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وفي الآية الأخرىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]، إذًا هذا هو طريق الجنة، العلم الشرعي، فكل ما ورد من فضل في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في شأن العلم إنما هو المعني به علم الشريعة، المعني به علم الشريعة، وهو المعني بهذا كله، فلذلك يطلق فيقال: العلم، وأما سائر العلوم فيضاف إليها ما يكشف المعني به، كعلم الحساب، أو علم التصنيع والمعادن، أو علم الحساب أو الهندسة، أو ما إلىٰ ذلك كعلم تداوي الناس والطب، فكلها بخلاف العلم الشرعي، فإذا قيل العلم تنصرف الأذهان إلىٰ العلم الشرعي، وليس معنىٰ هذا تزهيد في علوم الآلة أو الاكتساب، ولكن الوارد في الفضل إنما هو علم الشريعة، ثم ذكر ما يميز هذا العلم من فضل: «**وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع**»، وأتىٰ في بعض الروايات: «**خضعانًا**»،

(١) أورده الألباني رحمه الله في صحيح السيرة النبوية (ص ١٥٤).

وهكذا، هذا من باب التقدير والتبجيل بشرف هذا الذي يقوم بهذا العمل، والملائكة كرام يستغفرون لمذنبنا، ويدعون لصالحنا، ويقفون معنا ضد أعدائنا من الإنس والجن، فكم للملائكة من مواقف مع المسلم المؤمن، وهم يستغفرون لهم، وهم يدعون لهم، هم يحفونهم كما في الحديث: «**إن لله ملائكة طوافين يلتمسون حلق الذكر؛ فإذا وجدوها حفوا بها إلىٰ عنان السماء**»[(١)] وهكذا: «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه فيما بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**»[(٢)]، وهذا شرف.

عندما يقال لك: إن الأمير ذكرك في المجلس فأثنىٰ عليك، أو الوزير، أو الحاكم فلان، لا شك أن النفوس جبلت علىٰ حب الثناء، بل تشرأب إلىٰ المدح، وتلتفت له، فكيف بك يا عبد الله، يذكرك الله فيمن عنده، ويباهي بك الملائكة: «**هؤلاء عبادي، ما اجتمعوا إلا من أجلي، أشهدكم يا ملائكتي أني قد غفرت لهم، فيقال: يا أله، هذا عبدك فلان، ما أتىٰ إلا لحاجة، قال: وله قد غفرت، هم القوم لا يشقىٰ بهم جليسهم**».

وأتىٰ في تمام الرواية: «**قوموا مغفورًا لكم، قد بدلت سيئاتكم حسنات**»[(٣)]، الله أكبر، هذه هي المجالس المباركة، هي مجالس العلم.

إذًا الملائكة تضع أجنحتها رضًا بما يصنع - أي طالب العلم -؛ لأن صناعته

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

(٣) أخرجه أحمد (١٢٠٤٥)، وقال شعيب الأرنؤوط في تعليقه علىٰ المسند: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن.

التي قد قام بها قليل من يقوم بها، كم من الأطباء في الأمة الإسلامية. كم أهل الهندسة؟ كم التخصصات؟ ولكن لي سؤال: كم عدد علماء الأمة؟ قد يحصون في اليد الواحدة، ومن عليهم الاعتماد، لاعتمادهم علىٰ قوة الأدلة، ربما لا تكتمل اليد الواحدة، الأمة بحاجة إلىٰ علماء، وهذا العلم حاجتها إليه أشد من أي حاجة، بل ما أمر الله - تبارك وتعالىٰ - نبيه أن يطلب الزيادة من شيء كما أمره أن يطلب الزيادة في العلم: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، أي علم؟ هذا العلم المبارك، والنبي ﷺ ما من خير إلا ودلنا عليه، ولا من شر إلا وحذرنا منه ﷺ، ثم بين هذا الذي يسعىٰ لإنقاذ الناس، وتعليم الناس، وإخبار الناس بما يجب أن يقوموا به، فله من الفضل أن الكل يستغفر له، والاستغفار له هنا الدعاء بالمغفرة.

قال: «**وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض**»، الملائكة في السماء، ثم ضرب مثالًا، قال: «**والحيتان في جوف الماء**»، وأتىٰ: «**والنملة في جحرها لتستغفر لمعلم الناس الخير**»؛ لأن بقاء الكون مع بقاء العلم، فإذا ارتفع العلم اتخذ الناس رؤوسًا جُهالًا، وانتشر الشرك، ثم تقوم الساعة عندما لا يقول أحد: الله الله. فنظام الكون يأتيه أمر الله فتقوم الساعة عندما يزول أثر العلم، وإذا زال أثر العلم، من الصعوبة أن يرجع الحال كما كان، آدم عليه السلام، نبي كريم، وذريته موحدة عشرة قرون، كما قال ابن عباس، وهذا في البخاري، أنها عشرة قرون علىٰ التوحيد، ثم أتىٰ في الناس ما أتىٰ، واندرس العلم، انتبهوا لعبارة واندرس العلم، فعظم الصالحون: يعوق ويغوث ونسر، ثم أتىٰ من؟ أتىٰ نوح

عليه السلام، كم مكث يدعو قومه؟ عشرة قرون إلا خمسين عامًا، بقوا عشرة قرون علىٰ التوحيد، وانتشر الشرك، ويصحح عشرة قرون، ومع ذلك دعا الله تبارك وتعالىٰ بدعائه، فماذا قال؟ ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦]، فأمر الله تبارك وتعالىٰ السماء فأمطرت وفار الماء من التنور وقضي الأمر، انظروا هو بينهم عشرة قرون، وقد كانوا قبل ذلك علىٰ التوحيد عشرة قرون، إذا انتشر الشر مدة التصحيح تطول، وانتشار الشر ربما يكون في زمن قصير، لماذا؟ لأنه لم يكن هناك متكلم بالحق، قال: واندرس العلم.

ولذلك دائمًا نركز علىٰ مسائل التوحيد، مسائل الاتباع، مسائل ... حتىٰ لا يندرس التوحيد والاتباع، فإذا تركت دعوة التوحيد، الحمد لله نحن أهل التوحيد وبلاد التوحيد ويكفي هذا؟! ينتشر الشرك، انظروا إلىٰ هشاشة الناس في التفاتهم عندما يقال: ضرع تيس فيه لبن، يتوافدون أن فيه شفاء، أو عامة القراء الجهلة الذين تضرب لهم الآن أكباد المطي، بل بعضهم قامت عمارات شقق تأجير بجواره، يقصدونه الناس، قنوات السحر والشعوذة، كيف التفت الناس لها! كيف لو خرج الدجال، ويأمر السماء تمطر، والأرض تنبت، ويقول: أنا ربكم، العقيدة والاهتمام بها وشأن التوحيد من الأهمية بمكان، وهو له أولوية.

يلي ذلك أمور أخرىٰ، وهي الاتباع وما يتعلق بالاقتداء بالمصطفىٰ ﷺ.

ثم ذَكَر فضل هؤلاء الذين تستغفر لهم الملائكة، ويستغفر لهم أهل السماء والأرض، حتىٰ الدواب، وحتىٰ الحيوانات المائية، والحيوانات البرية، ثم قال:

«**إن فضل العالم علىٰ العابد كفضل القمر ليلة البدر علىٰ سائر الكواكب**»، لا يرىٰ إلا القمر؛ لأنه القمر، كذلك العلماء عندما تأتي الأمور لا يسمع لكلام الناس والعامة؛ إنما يسمع لهؤلاء العلماء، فهم البدور يهتدىٰ بهم، ويستند إلىٰ آراءهم، ويستبصر بها، فكم كشفوا من زيغ، كم بينوا من باطل، وكم دلوا إلىٰ هدىٰ، هم كالنجوم في السماء؛ فالنجوم علامات، ودلالة، وزينة، ورجوم للشياطين، كذلك العلماء، هم زينة لأهل الأرض، وهم أدلاء إلىٰ الحق، وهم رجوم علىٰ شياطين الباطل من الإنس والجن، قال: «**وإن العلماء ورثة الأنبياء**» إذًا هنا النسبة: أنهم ورثة، والوارث عندما تكون له الأولوية فيمن يرثه دل علىٰ أنه أقرب الناس إلىٰ هذا الذي يرثه، وهذا دليل علىٰ قرب أهل العلم من المصطفىٰ ﷺ وما لهم من منزلة، ولذلك نالوا علو المكانة، لماذا نحترم العلماء؟ لماذا نقدر العلماء؟ لماذا نبجل العلماء؟ لماذا لهم الطاعة دون بيعة؟ لماذا لهم تقديم الأمر والرأي؟ لأنهم وُرَّاث النبي ﷺ، والنبي ﷺ أخبر أنهم أهل الأولوية في الإرث، وما هو الإرث؟ دينار؟! درهم؟! لا دينار ولا درهم، «**وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»، ولذلك الأنصبة في المواريث تختلف، أعلاها الثلثين، ثم النصف، ثم الثلث، ثم الربع، ثم السدس، ثم الثمن، وهناك من يحجب، وهناك من هو من العصبة، وهكذا، فعليك بخير الأنصبة، وذلك بعنايتك بإرث المصطفىٰ ﷺ، وهنا نأتي إلىٰ قرب الانتهاء من هذا المجلس الذي تناولنا فيه هذا الحديث.

❁❁❁

جملة من الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها طالب العلم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا؛ من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

مجلسنا في هذه الليلة: هذا العلم الذي يبدأ به طالب العلم. مر بنا العناية بالقرآن، العناية بالعقيدة، إذًا أول ما يبدأ في طلب العلم في تصحيح عقيدته، والنبي ﷺ يقول: «**طلب العلم فريضة علىٰ كل مسلم**»(١).

ويدخل في هذا الذكر والأنثىٰ، و«من حرم الأصول حرم الوصول».

يقول أبو عبيد القاسم بن سلام: «عجبت لمن ترك الأصول وطلب الفضول».

إذًا يتعلم ما ينجيه من عذاب الله، ما ينجيه من النار، وما يدخله الجنة، يتعلم التوحيد ويعمل به ويعتقده، يعرف الشرك فيحذره، يتعلم السنة ويعمل بها، يعرف البدع فيحذرها، يتعلم الحلال، يتعلم الحرام فيدعه، يعرف الحق من الباطل، الطاعة من المعصية.

إذًا يجب عليه ما لا يسعه جهله من الفرائض، هذا أول ما يجب علىٰ المكلف في مسائل العقيدة والعبادة، وما يحرم عليه من الدماء والأموال والأعراض فيتركها، وما يحل له، يعرف هذه المسائل، وهذه تلزم لطالب العلم بعض الصفات، فإنه إذا

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٢٤)، وفيه زيادة صححه الألباني بدونها.

ازداد لله تقوىٰ أنار الله له الطريق، والله تبارك وتعالىٰ يقول: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

فأمره بأمرين: أمره بالتقوىٰ وأمره بالعلم.

فالأولىٰ: طلب.

والثانية: خبر.

فلا يعرف التقوىٰ إلا بالعلم، فإذا تعلم ما يأتي وما يذر؛ هذه هي التقوىٰ.

التقوىٰ هي: كلمة جامعة لفعل كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، وترك كل ما يبغضه الله ويأباه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة.

هذه هي التقوىٰ التقوىٰ، أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية، بالعلم بما تتقي وما تأتي، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾، وليس معنىٰ ذلك أن العلم يأتي هكذا، فيأتي أحدهم فيقول: أنت إذا تركت الحرام فتح الله عليك، والنبي ﷺ يقول: **«إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، فمن سأل الخير أعطيه، ومن اتقىٰ الشر وقيه»**[1].

إذًا العلم مكتسب، وليس هو فيوض ولا هكذا منامات، إنما العلم بحاجة إلىٰ تحصيل، وهذا التحصيل إما بالقراءة والجلوس علىٰ الأشياخ، أو التحصيل الذاتي، أو المذاكرة، وهذا المجلس سنتكلم فيه عن صفات ينبغي أن يتحلىٰ بها طالب العلم في طريقه، وهي في الحقيقة صفات كثيرة يعني قد تصل إلىٰ ستين... سبعين

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٦٦٣)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٤٢).

صفة، ولكن سأتكلم عن أصول هذه الصفات التي إذا تحصل عليها طالب العلم فستأتي تلك بإذن الله تبع.

أول صفة: الصدق.

طالب العلم يجب أن يكون صادقًا؛ صادقًا مع الله، صادقًا مع نفسه، صادقًا مع الناس، فإذا لم يكن صادقًا مع الله، ولا مع نفسه، ولا مع الناس؛ فهذا بطال صاحب حيل، ومهما تستر فسينفضح، وسينكشف، ولذلك ينبغي لك أن تعتني أشد العناية بأن تكون صادقًا مع الله.

وعلامات الصدق: أن تترك ما تحب نفسك ابتغاء مرضاة الله، وأن تترك ما يحب الناس ابتغاء مرضاة الله، وأن تقدم ما يحبه الله وإن كرهه الناس وكرهته نفسك، وإن كرهه الناس، وكرهته نفسك، وماذا سيكون لك؟ التوفيق من الله.

«فمن أرضىٰ الله بسخط الناس؛ رضي الله عنه، وأرضىٰ الناس عنه، ومن أسخط الناس برضا الناس؛ سخط الله عليه، وأسخط الناس عليه»[1].

إذًا العناية الأولىٰ بالصدق، وهناك مثل يضربه الناس، فيقولون: رضا الناس غاية لا تدرك، هذه العبارة نسمعها كثيرًا في مجلس من مجالس العلم.

عن شيخنا رحمة الله عليه الشيخ محمد بن أمان الجامي، تكلم وهو يشرح في الأصول الثلاثة في هذا المسجد: قال رضاء الله غاية تدرك، وهي مطلوبة، ورضا الناس غاية لا تدرك وهي غير مطلوبة، فتنافس الناس فيما لا يدرك، وليس هو

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣١١).

بمطلوب، وتركوا ما هو مدرك، ومطلوب.

وهذه لا شك حكمة، من الصفات التي ينبغي لطالب العلم أن يتحلىٰ بها: الإخلاص. الصدق قلنا فيما يتعلق مع الناس مع نفسه مع الله، أما الإخلاص أمر قلبي، قد يظهر منه أشياء في الظاهر، ولكن عالم الغيب يعلم السرائر، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، هذا الدين قائم علىٰ الإخلاص، ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ﴾ [الزمر: ٣]، فأخلص في تحصيلك وفي طلبك، تفلح، ويكون في هذا العلم بركة، وإن كان قليلًا.

أيضًا مما يتحلىٰ به طالب العلم: الأدب، والأدب هذا يشمل جملة من الأمور؛ فهو نواحي أخلاقية، ولذلك يقول الأول:

بُنَـــيَّ إن الـــبر شيء هـــين وجـــه طليـــق ولـــسان لـــين

طلاقة الوجه، بشر المحيا، عفيف اللسان، إن تكلم تكلم بأدب، في مجلس أهل العلم يعتني أن يكون قريبًا من شيخه ليسمع كما كان الصحابة يتزاحمون عند النبي ﷺ، ويعجل بعضهم بالإتيان حتىٰ يكون له المقدمة؛ فيحظىٰ بالقرب من رسول الله ﷺ، وهكذا يتواصون، فمن كان له عمل، يجعل له أخ يأتي محله فيخبره، كما كان عمر بن الخطاب ﷺ، وهكذا يحرصون، الأدب في المجلس فلا يعبث بأسنانه في المجلس، ليس من الأدب أن يشوص فاه بالسواك في مجلس العلم، فليس محله ذلك، من الأدب أن يأتي متهندمًا في مجلس العلم، وكان الإمام مالك يتطيب، ويلبس أحسن الثياب، هذه مجالس مشهودة، تحضرها الملائكة،

يذكرها الله فيمن عنده، إذا أردنا أن نقابل المسئولين، أو أن نجلس بين هؤلاء أو مع الأمراء لبسنا أحسن الثياب، وتضمخنا بأحسن الطيب، وتهيئنا بأحسن التهيئة، وإذا أتينا في المناسبات كذلك، مجلس العلم هو أولىٰ بذلك، أن تتهيأ لهذا المجلس، وهذا من الأدب، لا تكون رائحتك كريهة، تتطيب، لأن في مجالس العلم تتزاحم الركب، فينبغي أن تكون منك الرائحة الطيبة، فلا تُنبذ في المجلس ويكره الجلوس بجوارك.

فالآداب مجموعة من السلوكيات التي يتحلىٰ بها طالب العلم، الأدب في خطابه مع زملائه.

أيضًا مما يتحلىٰ به طالب العلم: الإنصات، في مجلس العلم ينصت، والنبي ﷺ أمر بذلك كما في خطبه في الحج قال: «**استنصت لي الناس**»[1]، بعض المشايخ لا يحب أحدًا يتكلم في مجلسه، مرة كنا في مجلس مع شيخنا الشيخ عبد الله بن غديان، وهو مربٍّ وعالم جليل، فلا يصبر في مجلسه إلا من يريد العلم، وأما البطالون فلا يجلسون عنده، ففي مرة - وكان يشرح «القواعد» لابن سعدي - أحدهم تكلم مع صاحبه، فقطع الدرس، فقال: أنت اسكت، اسكت ولا اطلع، فالذي يتكلم التفت قال: لا تلتفت. وتحيل بعد، لاحظتم! فانتقده في الكلام، وانتقده في التحايل، كأنما أنا لست بمعني بكلامك، قال: أنت أنت يا للي التفتَّ، وتحايل، فغضب من هذا التصرف.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢١)، ومسلم (٦٥).

أيضًا الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ يغضب إذا أحد يتكلم في مجلسه، بل ربما أحيانًا يقطع الدرس ويأتي لشخص ويقول له: ماذا قلنا؟ أعد. فإذا حار جوابًا، قال: انتبه معنا، إذًا الإنصات.

فدع عنك الهمس أثناء الدرس، ولا تنشغل بمن معك، فتجد بعض طلبة العلم في أثناء مجلس العلم يتهامسون، هذا ليس من الأدب، لابد الإنصات في المجلس، تريد تجلس، أنصت، أو انصرف راشدًا، لا تشغل الحضور، الإنصات شيء، والاستماع شيء آخر.

أيضًا: الفهم، فالفهم مما يتحلىٰ به طالب العلم، هل الفهم أمر جبلي؟ هل الفهم أمر تحصيلي؟ علىٰ كلٍّ: من عود نفسه اعتاد، فالفهم هو أن يدرك المعنىٰ المراد، سواء بدلالة المنطوق، أو بدلالة التضمن، أو بدلالة الالتزام، أو بدلالة المفهوم، أو بمفهوم المخالفة، فهناك استيعاب بغير الملحوظ؛ لأن هنا أيضًا من صفات طالب العلم الحفظ، تجدون بعض طلاب العلم حافظًا، ولكن لا يفهم، ويحفظ، لديه ملكة حفظ، لكن ملكة الفهم عنده ضعيفة، وهذه ذكرها النبي ﷺ في حديث: «**رب حامل فقه إلىٰ من هو أفقه، ورب حامل فقه ليس بفقيه**»[1]؛ لأن الفقه هو الفهم.

أيضًا من صفات طالب العلم: الصبر، طالب علم ما يصبر ما هو طالب علم، شو يصبر؟ يصبر في الطلب، يصبر في التحصيل، يصبر علىٰ أخلاق الزملاء، يصبر علىٰ شدة الشيخ، يصبر علىٰ الحر والبرد؛ علىٰ الأجواء؛ فإن كان لا يصبر علىٰ حر

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٣١٢)، والترمذي (٢٦٥٦)، وأبو داود (٣٦٦٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤٠٤).

الصيف وبرد الشتاء، ويلهيه حسن زمان الربيع، فأخذك للعلم قل لي متىٰ؟ يتعود يصبر، طالب العلم يتحلىٰ بالصبر، والصبر معه الفرج كما قال النبي ﷺ، ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، ولذلك أمر الله به أولي العزم من الرسل، فأمر نبيه ﷺ، فقال له ماذا؟ ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

ولذلك الداعية إلىٰ الله لابد أن يصبر: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]. اللي ما يصبر ما فيه عزم، فلابد أن تصبر في الطلب، تصبر، أحيانًا تقل بك الأمور، أحيانًا الجو ما يناسب، ربما ينطفئ المكيف، نجلس ولا نمشي؟ وهكذا، ربما الإذاعة تغلق وصوت المتكلم ضعيف، فلابد أن تصبر في السماع، والقرب، والدنو حتىٰ تستفيد، فلابد أن يصبر طالب العلم.

أيضًا مما ينبغي أن يتحلىٰ به طالب العلم: العمل بالعلم، وقيل في ذلك:

دعـــا العلـــم إلىٰ العمـــل ... فـــإن أجابـــه وإلا ارتحـــل

وعوتب، وقيل:

وعـــالم بعلمـــه لم يعملـــن ... معـــذب مـــن قبـــل عبـــاد الـــوثن

وثمرة هذه المسموعات وهذه المقروءات أن يعتقدها الإنسان، وأن يعمل بها، فهو لا يتعلم من أجل أن يتكلم، إنما يتعلم ليعمل: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]. العلم قبل القول والعمل، فإذا تعلم قال وعمل؛ لأن بعض الناس يتكلم قبل أن يتعلم؛ فيأتي بالطوام، أو يتعلم من أجل أن يتكلم وهذا باب رياء، تعلم لتعمل؛ لترفع الجهل عن نفسك، وتتقرب إلىٰ ربك بما يرضيه، أيضًا مما

ينبغي لطالب العلم: ترك المعاصي والذنوب.

اشتكىٰ الشافعي إلىٰ شيخه وكيع أن الحفظ عنده ضعيف؛ قال:

شكوت إلىٰ وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلىٰ ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نور ... ونور الله لا يؤتاه عاصِ

ترك المعصية، وهكذا يقول النبي ﷺ: «**إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه**»[1]، وأعظم الرزق أن ترزق علمًا نافعًا، وأعظم الرزق أن ترزق عملًا صالحًا، اللهم ارزقنا علمًا نافعًا وعملًا صالحًا متقبلًا يا أله... آمين.

أيضًا مما ينبغي لطالب العلم: الرحلة فيه، أن يرحل، فإذا رحل في تحصيل العلم اكتسب معالي، واكتسب فوائد؛ يقول:

سافر تجد عمن تفارقه عوضا ... وانصب فإن لذيذ العيش في النصب

إني رأيت وقوف الماء يفسده ... إن ساح طاب وإن لم يجر لم يطب

والأسد لولا فراق الغاب ما افترست ... والسهم لولا فراق القوس لم يصب

والشمس لو وقفت في الفلك دائمة ... لملها الناس من عرب ومن عجم

والتبر كالترب ملقي في أماكنه ... والعود ذاك نوع من الخشب

فإن غاب هذا عز مطلبه ... وإن غاب ذاك عز في الطلب

فلذلك الرحلة في الطلب تجعل الإنسان يتعرف علىٰ أشخاص، علماء، مواطن،

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٨١١) بلفظ: «إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، ولا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر»، وكذا أخرجه ابن ماجه (٤٠٢٢)، وضعف الألباني ثلثه الأول في ضعيف الترغيب والترهيب (١٤٧٣)، وصحح باقي اللفظ في السلسلة الصحيحة (١٥٤).

أمور، فمن لم يكن رحلة في العلم، فلا يُرحل إليه، فيكون طالب العلم له رحلة، وكل العلماء عرف عنهم ذلك، بل أنبياء، كما رحل موسىٰ للخضر، ورحل الصحابة في أحاديث، وهكذا.

فالرحلة تميز طالب العلم، ولذلك في التراجم تجدهم يذكرون شيوخه، رحلاته في التحصيل، ذهب إلىٰ كذا، وذهب إلىٰ كذا، ليس من باب التكثر، وإنما من باب حرصه علىٰ التلقي عن أهل العلم، وهذا مجلس غدٍ إن شاء الله في مسألة الرحلة في التلقي أو الأشياخ.

أيضًا مما ينبغي لطالب العلم: ترك ما يشغل، ربما ينشغل في أشياء ثانوية، أو أشياء جانبية، عليك أن تنشغل بأهم الأمور، فتنشغل بالمهم، ثم ما يليه، فتبدأ بالأمور المهمة، ثم ما يليها.

أيضًا مما ينبغي علىٰ طالب العلم: أن يعتني بما يغنيه عن أيدي الناس وأوساخ الناس من الصدقات، وذلك بكفايته في العلم، أن يكون معه مصدر مالي يغنيه، وهذا مهم، فيغتني عن أوساخ الناس وصدقاتهم.

أيضًا مما ينبغي علىٰ طالب العلم: الكتابة، فلا يلتفت لحفظه، إنما يحفظ ويكتب، فهذا مما يميز طالب العلم أثناء المجلس؛ فكم من شاردة، وكم من فريدة، وكم من لطيفة، وكم من نكتة علمية غابت عن الحضور، واستفاد مَن قيد.

العلم صيد والكتابة قيد ... قيد صيودك بالحبال الوثق

فهو يكتب هذه المعلومة.

أيضًا: أن يعتني بالاستمرار في العلم، فإذا استمر في تحصيله مع الزمن يتحصل علىٰ علوم كثيرة.

أنس يقول: لازمت النبي ﷺ عشر سنوات[1]. وهو في خدمة النبي ﷺ، كم استفاد، كم تعلم، وهو من المكثرين في الرواية، فلا تقل: كفاني يوم، يومين، شهر، شهرين، إنما استفد، وتعلم أشياء كثيرة:

اليوم علم وغدًا مثله ... من نخب العلم التي تلتقط

يحصل المرء بها حكمة ... وإنما السيل اجتماع النقط

هكذا التحصيل العلمي مع الزمن، فمن رام العلم جملة واحدة ذهب عنه، ولذلك إذا استمر في تحصيله مع الزمن؛ فلا يذهب عنه.

علمي معي أينما يممت يتبعني ... بطني وعاء له لا بطن صندوق

إن كنت في البيت كان العلم فيه معي ... أو كنت في السوق كان العلم في السوق

يعني معه العلم حيثما كان، لا يقول: انتظر، دعني أبحث كتبي، علمه معه، هذا مما يميز طالب العلم، وهذه بعض الصفات التي ينبغي له أن يتحلىٰ بها.

وأيضًا مما ينبغي لطالب العلم: أن يحرص علىٰ المعلم الحاذق، وهذا مجلس غدٍ إن شاء الله.

نسأل الله تبارك وتعالىٰ أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري تعليقًا، كتاب النكاح، باب الهدية للعروس.

مصادر وطرق تلقي العلم

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده.

أما بعد:

فالحمد لله علىٰ ما مَنَّ به من تكرار هذه المجالس في العلم للمذاكرة فيه، فخير ما صرفت فيه الأوقات تعلم العلم ومذاكرته.

بالأمس ذكرنا جملة من الآداب المتعلقة بطالب العلم، فأتانا أحد الإخوة في آخر المجلس وقد نظمها في المجلس، فقلت: إذا كان من الدرس القادم تفضل، فأين الأخ؟...

طيب، آخر مسألة ذكرناها هي الحرص علىٰ المعلم الحاذق، بأن يستفيد منه، وهكذا.

إذًا نبدأ اليوم في طرق تلقي العلم:

طرق تلقي العلم:

* بالمجالسة.
* والسماع.
* والقراءة.

«**فمن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»، وهذا الفقه يتلقاه عن أهله، إذًا الجلوس عند العلماء، فينتقي الكتاب الجيد المخدوم، ويترك منه غرائب المتون المهجورة أو المتروكة، فالمتن الذي كثرت عليه الشروح قد تبين ما فيه من خلال تدوين أهل العلم وشروح ذلك المتن؛ الإشكال فيه قد أوضح، والغريب قد بُين،

والمسائل العويصة فيه قد سهلت، فهذا يتناوله علىٰ وجه الإسهاب والإطالة، وذاك قد تناوله علىٰ وجه التوسط، وذاك قد تناوله علىٰ وجه الاختصار، فهذا كتاب مخدوم؛ اعتنِ به.

يهتم بالكتاب المتميز ويقرأه علىٰ الشيخ، وفي القراءة علىٰ الشيوخ فوائد كثيرة جدًّا:

أولًا: يتعلم الأدب العملي في المجلس، فالمجالس فيها سكون وهدوء وطمأنينة، شيخ المجلس يتحدث والجميع متأدب يستفيد ويدون، ففيها الأدب العملي، يرىٰ منه تبجيل الكبير، ويرىٰ منه العطف علىٰ الصغير، ويرىٰ منه التواضع، ويرىٰ منه المعاملة الحسنة إذا خاطبه السفيه وإذا قاطع الجريء، فيرىٰ منه هذه الأمور، وهذا قد لا يتحصل من خلال القراءة، وهذا يميز الجلوس عند أهل العلم، فالجلوس عند أهل العلم والتلقي والقراءة دون واسطة هو الطريقة المعتمد عليها، وهو الطريقة التي فعلها الصحابة ﷺ فتحصلوا بها العلم بين يدي رسول الله ﷺ، وهكذا التابعين مع الصحابة، وهكذا تابعو التابعين مع التابعين، هذه هي الطريقة وهو التلقي علىٰ العلماء.

ذكر الدارمي في «سننه» في المقدمة من حديث سلمان الفارسي ﷺ قال: «لا يزال الناس بخير ما أخذ الآخر عن الأول، فإذا هلك الأول قبل أن يأخذ الآخر هلك الناس»[1].

وهذه مسألة مهمة، وهي التلقي عن العلماء، والعناية في النسب، فإن مما يميز

---

(١) أخرج الدارمي (٢٤٢).

أهل العلم نسبهم في العلم، فيسأل عن شيوخه، ممن تلقىٰ؟ وعمن تلقىٰ؟ فهؤلاء هم الذين يستفاد منهم؛ لأنهم أخذوا العلم من أهله، وساروا علىٰ ذلك الطريق.

أيضًا: يتعلم في مجالس العلم المكشوفة التي يحضر لها ويزاحم فيها بالركب، يأخذ السمت، والسمت بخلاف الخفة؛ فمجلس العلم بخلاف مجلس النزهة، ولربما رأىٰ البعض من شيخه في النزهة شيئًا من التبسط والمزاح بخلاف ما يكون في المجلس العلمي، فيظن أن في هذا شيئًا من التناقض، ولذلك أتىٰ أحدهم عند الحسن وكان يلاطف جلساءه، فلما أتاهم سائل أحسن من هيئته وجلسته. فقال أحد السذج من الطلاب: أيعلمنا الشيخ الرياء؟! وما علم أن مجلس العلم بخلاف مجالس التبسط والمحادثة والملاطفة؟ مجلس العلم يتعلم فيه طالب العلم السمت.

أيضًا مجالس العلم تتميز أن الفائدة فيها جمة وقوية، هذا الشيخ كم سمع؟ سمع الشيء الكثير، ولكنه اعتنىٰ بنفسه، فلم يسمع إلا من أجود المشايخ؛ فالأشياخ ربما يكونون كثيرين في زمانه فهو لم يسمع إلا من أجودهم، ولم يكتب من هذا الكثير الذي سمعه إلا أجوده، وكم كتب؟ كتب كثيرًا، ولم يحفظ من هذا الذي كتب إلا أجوده، فإذا أراد أن يتكلم من محفوظه الكثير سيتكلم بأجوده، فيتحصل لطالب العلم من هذا الشيخ الذي جلس عنده الفائدة الغزيرة النادرة التي لو بحث في بطون الكتب وجلس من الزمن وقتًا طويلًا؛ لم يتحصل له تلك الفائدة التي لم تخرج إلا بعد صبر وبعد استقراء، مع ربط واستنتاج، فتأتيك عصارة جاهزة تتحصل عليها يا طالب العلم دون مزيد مشقة ولا عناء، وهي قد

خرجت من خلال سبعين عامًا من التحصيل، ستين عامًا، خمسين عامًا، ثلاثين عامًا، فستأتيك هذه الفائدة نادرة من النوادر؛ فاغتنمها ولا تفتها، ولذلك مجالس الأشياخ فيها الفوائد الجمة، ولو كان شيخ يتحدث وتقول أنت: أنا أقرأ كتابًا. هذا الكتاب موجود لا يفوت، ولكن ما يتكلم به يفوت، فعليك بمجالس العلم.

أيضًا مما يستفاد في مجلس العلم أن الإشكال يحل، فإذا أشكلت عليك المسألة وأنت في مجلس العلم، تستطيع أن تعقل وتسأل، فلا يكون في السؤال مقاطعة، فالنبي ﷺ ربما يأتيه سائل أثناء حديثه فلا يجيبه ولا يلتفت إليه، فلما يفرغ من حديثه يقول: «**أين السائل؟**»[1]، ثم يجيبه بعد ذلك؛ حتىٰ لا يقطع عليه تواصل حديثه. إذن هذا تنبيه لطالب العلم ألا يقطع الحديث بسؤال، بل إذا كان هناك إشكال يكتب سؤاله، أو يستأذن بأن يسأل مشافهة، وقيل: من لا يستشكل لا يعقل، وأما بعض الناس - دائمًا هكذا - ربما تمر المسألة وقد حصل فيها من الإشكال ما لا يستطيع ضبطه، ولكن قد لا يقول: ما فهمت، يقول: نعم، يستزيد وهو لم يعقل ما قد استشكل، فتذهب بإشكالها، ولم يسعَ في حلها وهو في مجلس العلم.

أيضًا: مما يميز المجالس أنك تجد الجواب علىٰ السؤال، بخلاف الكتاب، فلا تجد الجواب علىٰ السؤال، ولا حل الإشكال. الكتب طريقة من التحصيل العلمي؛ لكن لا تتعلم منها الأمور التي مرت بنا: الأدب، والسمت، وحل الإشكال، وهكذا، ابتداء، لكن في مجالس العلم أمامك.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩).

أيضًا: في مجلس العلم يكون الذهن حاضرًا، أيضًا في مجلس العلم تكون الهيبة، في مجلس العلم الوقار، الكتاب ربما تقرأه وأنت مستلق، الكتاب ربما تقرأه وأنت متخفف من اللباس، ولكن مجلس العلم مجلس هيبة، مجلس وقار، فيكسبك مزيدًا من الهيبة والوقار.

أيضًا: في مجلس العلم علو السند، فتأخذ من الشيخ مباشرة، وليس بواسطة، في مجلس العلم.

أيضًا: في مجالس العلم دعاء الملائكة، كما في الأحاديث التي مرت بنا، أن الملائكة تلتمس حلق الذكر: «**إن لله ملائكة طوافة بالأرض يلتمسون مجالس العلم**»، أيضًا: «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة**». إذًا مجالس العلم فيها السكينة، «**وغشيتهم الرحمة**» إذًا مجالس العلم فيها الرحمة، تريد رحمة الله؛ اجلس في مجالس العلم وفيها الطمأنينة، وفيها المباهاة، أن الله تبارك وتعالىٰ يذكرهم فيمن عنده، في مجالس العلم مغفرة الذنوب»، في مجالس العلم ضمان الجنة، في مجالس العلم فرار من النار؛ لأن الله تبارك وتعالىٰ يقول لملائكته: «**وما يسألون؟ قالوا: يسألونك جنتك، قال: ومم يستعيذون؟ قالوا: من نارك. قال: أشهدكم يا ملائكتي أني آتيتهم ما سألوا، وأجرتهم مما استجاروا، قوموا مغفورًا لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات، فيقول ملك من الملائكة: أي رب، هذا فلان ما أتىٰ إلا لحاجة، قال: هم القوم لا يشقىٰ بهم جليسهم وله قد غفرت**». إذًا مجالس العلم كل الخير فيها، فينبغي ألا

تفوتك حلقة من حلقات العلم، ولا مجلس من مجالس العلم، «**الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه، أو عالمًا أو متعلمًا**»[١]. فهذه الدنيا وما فيها، احذره، وهذا الحديث ضعفه بعض أهل العلم، وبعضهم حسنه. إذًا مجالس العلم فيها خير كثير.

من هم هؤلاء العلماء الذين يجلس لهم؟ من هم العلماء؟ هل لهم لباس معين، زي معين، هيئة معينة؟

العلماء هم الذين يعلمون الناس صغار العلم قبل كباره، أحدهم أتىٰ في مجلس أحد العلماء، فقال: ما تقول في الطهارة من ماء الباقلاء؟ قال: لا يكون، قال: ومن ماء الورد؟ قال: لا أرىٰ ذلك، فسأل أسئلة ثم انصرف، فقال: يا هذا، ماذا تقول إذا دخلت المسجد؟ سكت، قال: ماذا تقول إذا خرجت من المسجد؟ سكت، قال: تعلم هذا، ثم اسأل عن ذاك، أي: تعلم العلم الذي تعمل به، ودع عنك الغرائب في المسائل التي لا يعمل بها، وربما تمر كنادرة، فاعرف ما ينفعك، اعرف ما يقوم به قيام أمرك. هكذا يعرف أهل العلم بأنهم يعلمون صغار العلم قبل كباره، وهذا هو العالم الرباني، كما قال ابن عباس: «هم الذين يعلمون بصغار العلم قبل كباره»[٢] أي يبتدئ في التعليم بما يجب علىٰ المكلف معرفته، فيعلمونهم العقيدة، يعلمونهم التوحيد، ويحذرونهم من الشرك، إذًا العالم هو داعية التوحيد،

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٢٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٦٠٩).

(٢) البخاري تعليقًا، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل.

هو الذي يحذر من الشرك، العالم هو الذي يدعو إلىٰ السنة، ويحذر من البدعة، العالم هو الذي يأمر بالطاعة، ويحذر من المنكر والمعصية، العالم هو الذي يجمع الناس علىٰ ولاة الأمر، ولا يفرق الناس، العالم هو الذي يدعو إلىٰ ما أمر الله به، لا إلىٰ الأهواء وإلىٰ الآراء، العالم صاحب هدىٰ، وليس صاحب هوىٰ، هو قائم بأمر الله علىٰ نور من الله، يدعو لما يرضي الله، وأما من يتزيون بزي العلماء ويبثون في الناس الشرك، ويبثون في الناس البدع، أو يرخصون للناس في المحرمات، أو يوقعونهم في فعل الخوارج، ويرون تفرق الناس، ويوقعونهم في غير الأدلة، ولا يستندون إلا علىٰ ما لا يعتمد عليه من قصص أو خرافات، أو منامات أو أحاديث باطلة، هؤلاء ليسوا بعلماء. إذًا هذا العالم هو الذي تعتني به، سواء في العقيدة، سواء في الأحكام، سواء في الدعوة إلىٰ الله وما يتعلق بهذه الأمور أجمع، فمشارب الناس اختلفت، من قديم وفي الحاضر، كم الذين خالفوا في العقائد؟ كثير، في ذات الله، في أسمائه، في صفاته، في القرآن، في اليوم الآخر، في النبي ﷺ، في المعاد، في كل هذه الأمور وقعوا في الانحرافات وفي المخالفات، ولا يزال أهل الحق يردون علىٰ هؤلاء، ويبينون للناس ما هم فيه من مخالفة، فكم كشفوا زيغهم، وكم بينوا أمرهم، وكم ردوا عليهم بالكتب، إذًا مثل هؤلاء تعتني بهم، بمن صحت عقيدتهم، فتعتني بمن صحت عقيدته؛ لأن هناك من انحرف في عقيدته، في الأسماء والصفات، في توحيد العبادة، في الاستغاثة بغير الله، وهكذا في كثير من المسائل.

إذًا تعتني فيمن تأخذ العلم، «إن هذا العلم دين؛ فانظروا عمن تأخذون

دينكم»[١] السؤال عن الشيخ أمر مهم.

الإمام مالك يقول: «لا يؤخذ العلم من أربعة»[٢]، ثم ذكر السفيه، وصاحب الهوىٰ الداعي له، ثم ذكر الكذاب، ثم ذكر الصالح العابد الذي لا يعرف ما يحدّث.

بل بعض الصحابة كان يسألهم التابعون، فهذا عبد الرحمن بن يزيد النخعي، يقول: سألنا حذيفة ﷺ عن رجل قريب السمت والهدي من النبي ﷺ حتىٰ نأخذ عنه، فقال: «ما أحد أقرب سمتًا وهديًا ودلًّا للنبي ﷺ من ابن أم عبد»[٣]، هذا في «صحيح البخاري». فهم حريصون.

ابن مهدي يقول: «لا يؤخذ العلم عن ثلاثة: المتهم بالكذب، وصاحب بدعة يدعو إلىٰ بدعته، والرجل الغالب عليه الوهم والغلط».

إذًا هؤلاء اطّرحْهم، فالصالح الغافل الذي لا يدري ما يحدث، اتركه، عليك بالمعلم الحاذق الذي يعرف ما يقول.

فالتلقي عن أهل العلم أمر عظيم بخلاف من يترك ذلك:

فإذا رمت العلوم بغير شيخٍ ضللت عن الصراط المستقيم

---

(١) أخرجه مسلم في المقدمة، من قول محمد بن سيرين ﷺ؛ راجع شرح أثر ابن سيرين، للشيخ أحمد بازمول فهو مفيد. طبعة دار الإمام أحمد القاهرة.

(٢) الآداب الشرعية والمنح المرعية، أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي، فصل (في صفات من يؤخذ عنهم الحديث والدين ومن لا يؤخذ عنهم) (جـ ٢ ص ٢٣٤).

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٦٢).

وقيل:

من لا يشافه عالمًا بأصوله فيقينه في المشكلات ظنون

فالمشكلات يتكلم فيها بالظنون، لا باليقين؛ لأنها لا تزال مشكلة، هذه عنايتهم في التلقي، فكانوا يحرصون علىٰ من يتلقون، وعمن يأخذون.

ذكرت في بداية الحديث أن من مصادر التلقي ثلاثة: وهي المجالسة، والسماع، والقراءة.

فمن جلس جُلس له، ومن تكلم سمع له، ومن كتب قرئ له، أيًّا كان، صاحب شهوة، صاحب شبهة، داعي حق؛ فالعلوم المكتسبة إما بسماع أو بقراءة أو بمجالسة.

أيضًا: هذه الثلاث تؤثر في الناس؛ فمن جالس صاحب الشهوة، تعرفون الشهوات والشبهات؟

الشهوات هي: ميل النفوس ورغباتها، بتجاوز ما حد لها الشارع، النظر مسموح لك، السماع مسموح لك، في الحلال، لكن النظر للحرام، للنساء، لا. هل يجوز أن تنظر لامرأة عارية؟ نعم، زوجتك، أمتك، في الحلال، ولكن هناك حدود، فالشهوة أمر جبلي، خلقة فينا معشر بني آدم، نشتهي، سواء مشروب، مطعوم، منكوح، تملك، ولكن هناك حدود، فالشهوات ميل النفوس ورغباتها بتجاوز ما حد لها الشارع، إذًا هذه الشهوات الممنوعة، وأما الشهوات المسموحة فليس فيها شيء، إنما يحذر من الشهوات هي الشهوات الإيش؟ الممنوعة، أما الشهوات المسموحة فليس فيها تحذير، فيها تنبيه بعدم الإغراق في المباح.

إذًا هذه الشهوات، إذا جالس أهل الشهوات، جالسهم، وسمع لهم، وقرأ لهم، هل لأهل الشهوات كتب؟ نعم، كتب المجون، ومجلات الخلاعة والتفسخ والانحراف، يكتبون، كلٌّ يدعو، ويسمع لهم، ما بين مزمار، وما بين غناء، وما بين محرمات الكلام، غيبة، بذيء، يعني كلام ساقط رديء، فالناس تسمع، أو المجالسة، وأنتم ترون مجالس الناس.

النوع الثاني: الشبهات، ما هي الشبهات؟ هي ما يتعلق في عقائد الناس وأديانها بما لم يأت في كتاب ولا سنة، شبه تتعلق في أمور الدين والعقيدة، وليس علىٰ ذلك دليل، هذه كلها ممنوعة، فمن جالس أهل الشبهات وقرأ لهم وسمع لهم، هل لهم كتب أهل الشبهات؟ نعم، هم أهل البدع، هم أهل الباطل، ويكتبون، ويتكلمون، ولهم سامعة، في القنوات والإذاعات والجرائد والمجلات، ونحن في عصرٍ جميع وسائل التوجيه والإرشاد كثرت ما بين شهوة وشبهة، أو مجالسة لهم، بمجالسة أهل البدع.

النوع الثالث: أهل الحق، أن يجالسهم، أو يسمع لهم، أو يقرأ لهم، من هم أهل الحق؟ الذين ساروا علىٰ الكتاب والسنة، علىٰ فهم الصحابة رضي الله عنهم، كما قال النبي ﷺ في حديث الافتراق: «**تفترق أمتي علىٰ ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة**»[1]. هل سألوا عن الثلاث والسبعين، صفاتها أو شيء؟ الباطل ما له حد، لكن سألوا عن الحق، اعرف الحق تعرف أهله، قالوا: من هي؟ اكشفها لنا، جلها

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٣)، وأحمد (١٦٤٩٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٠٣).

لنا، وضحها لنا، قال: «من كان علىٰ مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي». يعني: إسلام ذلك اليوم ليس إسلام اليوم، إسلام اليوم مليء بالبدع والضلالات والانحرافات المخالفة للكتاب والسنة، ولكن إسلام ذلك اليوم هو ما عليه محمد ﷺ وأصحابه.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

أن يكون علىٰ ما عليه النبي ﷺ وأصحابه، السلف الصالح، يخطو علىٰ خطاهم، ويسير خلفهم، ينجو بإذن الله، فإذا قرأ لهم، هل لهم كتب؟ نعم، كتب السنة كثيرة: «البخاري» و«مسلم» و«أبو داود» و«الترمذي» و«النسائي» و«ابن ماجه»، «مسند الإمام أحمد»، والدواوين، والمسانيد، المجامع، الكتب، كتب العلم، الأئمة الأربعة ومن بعدهم، كتب العلم التي قامت علىٰ قال الله، قال رسول الله، هذه هي كتب العلم، قرأها، ويسمع لأهل العلم الذين يسيرون علىٰ هدي السلف الصالح، ويجالسونهم.

وهنا يختلف الناس، فمن جلس لأهل الشهوات، وقرأ لهم، وسمعهم، ما هي إلا أيام فإذا به شهواني، مع أهل الشهوات، عاص مع العصاة؛ لأنه معهم، ومن جلس جلس له، لو يجلس مجنون الآن، لحصلت لك ناسًا حوله، ربما لو تكلم تسمع الناس حوله يسمعون، وربما تجد من يقول: خذوا الحكمة من أفواه المجانين.

فمن جلس جُلس له، ومن تكلم سُمع له، لو مجنون، ومن كتب قُرئ له، الآن يأتون بحجر كتب قبل كذا ألف سنة، يريدون أن يقرءوا هذا الكتاب، هذا حجر كسائر الأحجار، لكن ارتفعت فيه الأسعار لما فيه من هذه الكتابة، ذات قيمة، من

كتب قرئ له.

لكن ليت شعري من المجالِس؟ ومن المسموع له؟ ومن المقروء له؟ فإن كان يجالس أهل الشبهات، ويقرأ لهم، ويسمع لهم، ما هي إلا أيام؛ فإذا به مع أهل الشبهات، بدعي مع أهل البدع، وإن كان يقرأ للسلف ويجالسهم ويسمعهم، ما هي إلا أيام؛ فإذا به سني أثري سلفي علىٰ الجادة استقام، لا يرضىٰ إلا بما عليه محمد ﷺ وأصحابه، مهما كان من تكلم يقول: ما الدليل علىٰ هذا؟ يعتني بالحجة، إذًا هذا الذي ينبغي أن يعتنىٰ به حتىٰ يجلس بين يديه فيتلقىٰ العلم عليه. ولكن إن مما نعاني من كثير من الشباب أنه يجالس أهل البدع، وربما يقرأ لأهل العلم ويسمع لهم، ولكن أُتي من المجالسة، وربما بعضهم لا يجالس ولا يسمع، لكن أُتي من القراءة، فيخرج هذا الشاب، وقد اضطربت عليه الأمور، ربما يجالس أهل الشهوات، ربما يكون عنده شيء من سماع المزامير، فيأتيه فإذا به خليط ما بين شهوة وشبهة، وعنده شيء من الحق، وهذا ما يسمىٰ بالمتساهل، أو المتلون، أو المتميع، أو المختلط، أو المضطرب، أو المتنوع، وهكذا أسماء كثيرة، لكن عليك بالصفاء والنقاء، حتىٰ توفق وتكون في الحياة سعيدًا مطمئنًّا، وإن ما يكون من حيرة واضطراب بسبب هذه الأمور؛ لذلك اعتنىٰ السلف، ابن عباس حذر من ذلك: «إياكم ومجالسة أهل البدع»، وأيضًا أبو قلابة يقول: «لا تجالسوا أهل البدع؛ فإنها ممرضة للقلوب، إني أخشىٰ أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو أن يلبسوا عليكم ما عندكم من حق»[1].

---

(١) السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني (رقم ٩٩ ج١ ص١٣٧)، والشريعة للآجري (رقم ١١١ ج١ ص١٢٥).

الإناء إذا نوعت المصادر فيه تكدر، وإذا صفت المصادر فيه صفا، فليس فيه إلا سماع الحق، ومجالسة الحق، وقراءة الحق، مليء بالخير والحق، وإن الفتن - كما قال النبي ﷺ: «**تعرض الفتن علىٰ القلوب عرض الحصير عودًا عودًا، فمن أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، حتىٰ يصبح أبيض كالصفا، لا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، وإذا أشربها نكت فيه نكتة سوداء، حتىٰ يصبح أسود مربادًّا كالكوز مجخيًا، لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، إلا ما أشرب من هواه**»[1] لا لأنه هدىٰ، بل لأنه وافق هوىٰ في نفسه. إذًا هذه ثلاثة أمور مهمة، بل لربما تجد من به هذه المسائل فتفرح به، فأنتقل إلىٰ الثلاث الأخرىٰ.

إذًا الثلاث: مجالسة، سماع، قراءة، بثلاث: شهوات، شبهات، ينبوع الحق، وهو الخير، الثلاث التي حصل فيها كثير من الخلاف: أمور العقيدة، وأمور التعصب للمذاهب، وأمور التعصب للمناهج الدعوية.

ما موقف طالب العلم؟

عليك بالعناية بالصفاء في مسألة العقيدة، أهل العلم يردون علىٰ أهل الباطل، انظر ردود أهل العلم، مليئة، الكتاب العزيز الحكيم القرآن مليء بالرد علىٰ اليهود والنصارىٰ، والرد منهج شرعي علىٰ من يخالف الحق، فمن خالف يرد عليه، ويتوعد ويتهدد، ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]. الرسول ﷺ مع عائشة زوجته يقول: «**أولئك الذين سمىٰ الله**

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٤).

فاحذري»[١]. يحذر زوجته، الآن يقولون: لا، لا تحذر، أنت تنفر، غلط، أنت تحذر حماية وشريعة، وديانة، ليس لغرض الأشخاص، ليكن من يكون، لو أخٌ شقيق، الدين ليس فيه محاباة، ولذلك ابن نوح ماذا قال فيه نوح: ﴿إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي﴾ [هود: ٤٥]، فماذا قال الله تعالىٰ؟ قال: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾ [هود: ٤٦]، إبراهيم عليه السلام ماذا حصل بينه وبين أبيه؟ الأمور العظيمة إلىٰ أن كانت المفاصلة، فماذا قال؟ قال: ﴿كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]، فمسائل العقيدة ليس فيها مساومة، فالنبي ﷺ ينكر علىٰ الفور، مسلمة الفتح حديثو الإسلام، يقول أحدهم: يا رسول الله - والراوي يقول: وكنا حدثاء عهد بجاهلية - اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. قال: «**الله أكبر؛ إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قال قوم موسىٰ: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾ [الأعراف: ١٣٨]**»[٢]، لم يقل: إذا رجعنا إلىٰ المدينة سيكون البيان. البيان في الحال، تأتي الوفود، والوفود لها تقديرها، ولكن العقيدة مقدمة، فيأتي خطيب بين يديه، فيقول: من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد ضل. قال: «**بئس خطيب القوم أنت، أجعلتني لله ندًّا؟**»[٣]. الحبيب الهين اللين الذي قال الله فيه: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، هذه ليست شدة في المعاملة، ولكنها حكمة في النصيحة، فربما تكون الشدة

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥).

(٢) أخرجه أحمد (٢١٣٩٠)، والترمذي (٢١٨٠)، وصححه الألباني رحمه الله.

(٣) أخرجه مسلم (٨٧٠)، وليس فيه زيادة: «أجعلتني لله ندًّا».

حكمة، وربما يكون تأخير البيان حكمة، وربما يكون اللين في الطرح حكمة، الذي نزع الخاتم من يده ثم رماه، قال: «**يعمد أحدكم أن يجعل في يديه جمرة من نار**»[١]، هذه ليست شدة، هذه حكمته ﷺ، هو الذي آتاه الله الحكمة والرحمة، يبول الرجل في المسجد فينكر علىٰ من يريدون أن ينكروا عليه المنكر، فيقول: «**مه، ذروا الرجل ليكمل بولته**»، ثم يناديه فيقول: «**إن المساجد ما بنيت لهذا**»[٢] الحكمة، الرجل بين يديه ينهره، مسائل العقيدة ما فيها تأخير بيان، مسلمة الفتح يطلبون شجرة يتبركون بها، قال: هذا شرك كما قال قوم موسىٰ، ليس هناك أنصاف حلول، وضوح في الطرح، مسائل العقيدة لا تأخير للبيان فيها، وليس هذا من قبيل الشدة، بل من قبيل النصح، وهي هذه الحكمة.

أيضًا في المسائل الفقهية حتىٰ، هناك ردود لأهل العلم في مسائل الفقه وبيان، بل حصل التعصب المذهبي في هذا في سنوات الشيءُ العظيم.

وسنتناول في مجلس من المجالس أنموذجًا من هذه الأمور، وسنقرأ فيه مقدمة لأحد الكتب، وتأتينا الآن المسائل والمناهج، وهذا مجلس سيكون إن شاء الله بعنوان: «طالب العلم والمناهج الدعوية»؛ لأنها شغلت طلاب العلم عن العلم، وقطاع الطريق فيها يصرفونهم عن العلم، ولذلك تجد من العلماء من له قوة في المسائل الفقهية بالدليل، وقوة في المسائل العقدية بالدليل، ولكن في هذه المسائل

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٠)، ومسلم (٢٨٥).

يضعف، ومنهم من له قوة في المسائل العقدية، ولكن في المسائل الفقهية يضعف، ومنهم من له عناية في المسائل الفقهية ويعتني بالدليل، وفي المسائل الدعوية ويعتني بالدليل، وفي المسائل الفقهية الشرعية ويعتني بالدليل، وهنا طالب العلم ينبغي أن يعتني بالمعلم الحاذق حتىٰ يستفيد.

هذه بعض الأمور المتعلقة عمن يأخذ العلم، وما يتعلق في تحصيله، وأما ما يتعلق بالطريق الثاني، وهي القراءة، سيكون لها مجلس «طالب العلم والكتب».

أسأل الله - تبارك وتعالىٰ - أن يرزقني وإياكم العلم النافع والعمل الصالح، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلىٰ الله وسلم علىٰ محمد.

❁❁❁

أنموذج للمتابعة والعناية بها

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا؛ من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فالحمد لله علىٰ ما منَّ به من تكرار هذه المجالس في العلم، ورزقنا الله وإياكم ذلك، وقد تناولنا في هذه المجالس جملة من الآداب المتعلقة بطالب العلم، ومن ذلك: الإخلاص، وصفات طالب العلم، وتكلمنا حول مصادر التلقي، وذكرنا من ذلك التلقي مشافهة علىٰ أهل العلم، وذكرنا أوصاف أهل العلم، ثم تكلمنا

عن العناية عمن تأخذ منه العلم، وفي الاتباع، ووعدنا أن نأتي بأنموذج عن المتابعة والعناية بها؛ لأننا ضربنا مثلًا بالعقيدة والأحكام والدعوة وغير ذلك، في هذا المجلس معنا مقدمة الشيخ ناصر الدين الألباني رحمة الله عليه في كتابه «صفة صلاة النبي ﷺ» لما ذكر ميزته في طرح هذا الكتاب، فكانت له مقدمة رائعة دونها قبل ستين سنة.

قال المحدث الإمام محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله في «صفة صلاة النبي ﷺ»: «منهج الكتاب. ولما كان موضوع الكتاب إنما هو بيان هدي النبي ﷺ في الصلاة، كان من البدهي ألا أتقيد فيه بمذهب معين».

إذن بدأ: أن ليس لي مذهب معين أقتدي به في هذا الكتاب، إنما مستندي الكتاب والسنة مع الاستئناس بأقوال أهل العلم.

«للسبب الذي مر ذكره، وإنما أورد فيه ما ثبت عنه ﷺ كما هو مذهب المحدثين قديمًا وحديثًا».

يعني: طريقته في التأليف أني سأعتني بالأدلة علىٰ طريقة الأولين، يعني: قبل المذاهب الأربعة كيف كان الناس؟ كانوا علىٰ الأدلة، فعندما يقال: لا يمكن إلا أن يتمذهب، نقول: كيف قبل المذهب؟ عندما يلزم الناس بالتمذهب، نقول: كيف هم قبل المذاهب؟ إذًا نقول: الكتاب والسنة علىٰ فهم السلف الصالح.

«وقد أحسن من قال:

أهل الحديث همُ أهل النبي وإن ... لم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا

ولذلك فإن الكتاب سيكون إن شاء الله تعالىٰ جامعًا لشتات ما تفرق في بطون كتب الحديث والفقه علىٰ اختلاف المذاهب مما له علاقة بموضوعه».

يعني معناه أني سأختار ما وافق الدليل، قال به من قال به.

«بين ما لا يجمع ما فيه من الحق أي كتاب أو مذهب».

إذًا هنا لم يجعل هناك مذهبًا معتمدًا، إنما من تعضده الأدلة.

«وسيكون العامل به إن شاء الله ممن قد هداه الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه؛ لأني بنيته علىٰ الدليل، ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [النور: ٤٦]».

آمين، اللهم اجعلنا مع من هديت، واهدنا فيمن هديت.

«ثم إني حين وضعت هذا المنهج لنفسي، وهو التمسك بالسنة الصحيحة، وجريت عليه في هذا الكتاب وغيره مما سوف ينتشر بين الناس إن شاء الله تعالىٰ، كنت علىٰ علم أنه سوف لا يرضي ذلك كل الطوائف والمذاهب».

صحيح، إرضاء الناس غاية لا تدرك وهي غير مطلوبة، وإرضاء الله غاية تدرك وهي مطلوبة، وهذا الذي جعله لا يلتفت لناقد بغير حق أو حاقد لا يريد أن ينتشر الحق في الناس، وهؤلاء ما بين مخزل وما بين مظهر العداوة.

«بل سوف يوجه بعضهم أو كثير منهم ألسنة الطعن وأقلام اللوم إلي ولا بأس من ذلك علي».

هذا من باب توطين النفس في تحمل أذىٰ المخالف، وهذه طريقة الأولين، فالنبي ﷺ مع أصحابه: «**صبرًا يا آل ياسر، إن موعدكم الجنة**»، وهكذا بعضهم

يثبت بعضًا والموعد الآخرة. وابن القيم له كلام جميل في الغربة إلىٰ أن قال: «فليوطن نفسه علىٰ أن تقال فيه الغرائب، وتنشر عنه الشنائع، ويقال فيه ما ليس فيه»[1]. أو كلامًا نحو هذا.

«فإني أعلم أيضًا أن إرضاء الناس غاية لا تدرك، وأن من أرضىٰ الناس بسخط الله؛ وكله الله إلىٰ الناس، كما قال رسول الله ﷺ. ولله در من قال:

ولست بناجٍ من مقالة طاعن ولو كنت في غارٍ علىٰ جبل وعر

يعني لو كان في غار علىٰ جبل وعر، الناس تتكلم: وإيش وداه الغار فوق؟ وإيش خلاه يجيء هناك؟ فالناس ما يبغيها شيء، حتىٰ لو اعتزل الناس في غار وعر، الطريق إليه وعر، فالناس ما تخلي حد.

«ومن ذا الذي ينجو من الناس سالمًا ولو غاب عنهم بين خافيتي نسر»

مهما اختفىٰ الإنسان عن الناس؛ ما تتركه الناس.

«فحسبي أنني معتقد أن ذلك هو الطريق الأقوم الذي أمر الله تعالىٰ به المؤمنين، وبينه نبينا محمد سيد المرسلين، وهو الذي سلكه السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وفيهم الأئمة الأربعة الذين ينتمي اليوم إلىٰ مذاهبهم جمهور المسلمين، وكلهم متفق علىٰ وجوب التمسك بالسنة والرجوع إليها وترك كل قولٍ يخالفها».

يعني: الأئمة الأربعة.

---

(١) مدارج السالكين للإمام ابن القيم، (ج٣ ص١٩٩).

«مهما كان القائل عظيمًا؛ فإن شأنه ﷺ أعظم، وسبيله أقوم، ولذلك فإني اقتديت بهداهم، واقتفيت آثارهم، وتبعت أوامرهم بالتمسك بالحديث».

يعني: أنا في طريقتي هذه لست مبتدعًا طريقة جديدة، بل هذا هو قول الأئمة الأربعة، فكلهم جعل الدليل هو اعتماده، وسيورد الآن جملة من الأدلة.

«وتبعت أوامرهم بالتمسك بالحديث، وإن خالف أقوالهم، ولقد كان لهذه الأوامر أكبر الأثر في نهجي هذا النهج المستقيم، وإعراضي عن التقليد الأعمىٰ فجزاهم الله تعالىٰ عني خيرًا».

«أقوال الأئمة في اتباع السنة وترك أقوالهم المخالفة لها:

ومن المفيد أن نسوق هنا ما وقفنا عليه منها أو بعضها، لعل فيها عظة وذكرىٰ لمن يقلدهم، بل يقلد من دونهم بدرجات تقليدًا أعمىٰ، ويتمسك بمذاهبهم وأقوالهم كما لو كانت نزلت من السماء».

فعلًا، بعض الناس يجعل – يعني – كلام المذهب مقدمًا علىٰ الأدلة، والحق في التقديم الأدلة، فأقوال العلماء يحتج لها ولا يحتج بها، ما كما يقول ذلك الذي قال: كل آية في كتاب الله أو حديث عن رسول الله لا يوافق مذهبنا فالآية منسوخة والحديث ضعيف؛ فجعل المذهب هو الأصل، وهذا غلط.

«**والله** ﷻ **يقول:** ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

أولًا: أبو حنيفة رحمه الله: فأولهم الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت رحمه الله: وقد

روىٰ عنه أصحابه أقوالًا شتىٰ وعبارات متنوعة، كلها تؤدي إلىٰ شيء واحد وهو وجوب الأخذ بالحديث وترك تقليد آراء الأئمة المخالفة له:

١- «إذا صح الحديث فهو مذهبي».

٢- «لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه».

وفي رواية: «حرام علىٰ من لا يعلم دليلي أن يفتي بكلامي»، زاد في رواية: «فإننا بشر، نقول القول اليوم ونرجع عنه غدًا». وفي أخرىٰ: «ويحك يا يعقوب - هو أبو يوسف - لا تكتب كل ما تسمع مني، فإني قد أرىٰ الرأي اليوم وأتركه غدًا، وأرىٰ الرأي غدًا وأتركه بعد غد».

٣- «إذا قلت قولًا يخالف كتاب الله تعالىٰ وخبر الرسول ﷺ، فاتركوا قولي».

هذا ما قاله الإمام أبو حنيفة المعروف صاحب المذهب المتبوع؛ فالأحناف امتلأت بهم الدنيا، وهذا هو قول الإمام، فالواجب الاقتداء، فهو ليس متبوعًا لذاته؛ إنما لما أورد من الأدلة، كيف وهو يقول: «لا يحل لأحد أن يأخذ بقولي دون أن يعرف من أين أخذت».

فالواجب علىٰ من استبانت له السنة أن يأخذ بالسنة؛ لأنها هي مذهب الإمام أبي حنيفة؛ لأنه هو الذي يقول: السنة، ويحرص علىٰ الدليل، وأذكر: سمعت من شيخنا الشيخ صالح السحيمي قبل مدة أن الإمام أبا حنيفة قيل له مسألة في الإرجاء، قال: هل تقول بما كنت تقول به؟ قال: كيف وقد قال رسول الله ﷺ، وإن كنت لم أقف علىٰ هذا الأثر، ولكن هذا المظنون في أهل العلم عندما يقال له:

قال رسول الله، ليس له إلا أن يقول: سمعنا وأطعنا.

هذه المنهجية، وأنا أردت هذا الطرح المعاصر في زماننا؛ حتىٰ ندرك أن هذا ممكن في التطبيق والممارسة.

ثانيًا: مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال:

١- «إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه» ».

إذًا لم يلزمهم برأيه هو، بعض الناس يقول: لا، اسمع مني ولا تسمع من غيري، الخير كله عندي، غيري اتركه، وين بتروح، هنا يدله علىٰ الكتاب والسنة، ما يدله علىٰ شخصه أو علىٰ نفسه، ولكن من الناس مَفتون، نسأل الله لنا ولكم العافية.

٢- «ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ».

٣- قال ابن وهب: «سمعت مالكًا سئل عن تخليل أصابع الرجلين في الوضوء، فقال: ليس ذلك علىٰ الناس، قال: فتركته حتىٰ خف الناس، فقلت له عندنا في ذلك سنة، فقال: وما هي؟ قلت: حدثنا الليث بن سعد، وابن لهيعة، وعمرو بن الحارث، عن يزيد بن عمرو المعافري، عن أبي عبد الرحمن الحبلي، عن المستورد بن شداد القرشي قال: رأيت رسول الله ﷺ يدلك بخنصره ما بين أصابع رجليه، فقال: إن هذا الحديث حسن، وما سمعت به قط إلا الساعة».

يعني: إن إسناده صالح للاستدلال، ومع ذلك ما مر به.

«ثم سمعته بعد ذلك يُسأل، فيأمر بتخليل الأصابع».

إذًا هذا هو المعتمد؛ الأدلة، ما هم يعاندون، إذا أتاهم الدليل بين ما يعاند ويكابر، ولكن هذا هو ديدنهم، الانصياع والامتثال والرجوع، بعض الناس يأتي بالكلام ثم تقول: ما دليلك؟ فليس له إلا أن يقول: أنت شاك في، أنت ما تصدقني، أنت ما مقتنع بكلامي؟ أنا لا أتعبد الله بأفعالك ولا بأقوالك، أنت هادٍ إلىٰ الخير، فأين هذا الخير؟ ما حجتك فيما تقول؟

هذه هي التربية العلمية التي تربط الناس بالكتاب والسنة، ولا تربط الناس بالناس، والنبي ﷺ يقول: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله وسنتي**»[(١)]، «**أما إني أوتيت القرآن ومثله معه**»[(٢)]، وهذه المنهجية العلمية التي تنتج طلبة علم يعتنون بالأدلة.

ثالثًا: الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأما الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فالنقول عنه في ذلك أكثر وأطيب، وأتباعه أكثر عملًا بها وأسعد، فمنها:

١- «ما من أحد إلا وتذهب عليه سنة لرسول الله ﷺ وتعزب عنه، فمهما قلت من قول، أو أصلت من أصل، فيه عن رسول الله ﷺ خلاف ما قلت؛ فالقول ما قاله رسول الله ﷺ وهو قولي».

٢- «أجمع المسلمون علىٰ أن من استبان له سنة عن رسول الله ﷺ لم يحل له أن يدعها لقول أحد».

---

(١) أخرجه البيهقي في الكبرىٰ (٢٠١٢٣)، ومالك مرسلًا (١٦٦١)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (١٨٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٦٠٤)، وأحمد (١٦٧٢٢)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١٦٣).

٣- «إن وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ؛ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ودعوا ما قلت»، وفي رواية: «فاتبعوها، ولا تلتفتوا إلىٰ قول أحد».

٤- «إذا صح الحديث فهو مذهبي».

نقل الإجماع علىٰ أن من استبانت له السنة ألا يستمر علىٰ ما هو عليه، بل يرجع، كيف وبعض الناس تقول: هذه آية في القرآن، حديث عن رسول الله ﷺ، فيقول: الإمام أعلم، أكيد مرت به وعنده جواب. عذره له، أنت ماذا تقول؟ هو قد قضىٰ نحبه وانعذر بعدم العلم وعدم المعرفة، لكن أنت ما هو عذرك، وقد استبانت لك السنة، واستبانت لك الحجة، واستبان لك الدليل؟

إذًا الاتباع، منهجية طالب العلم أن يعتني بذلك غاية العناية، بل إن الإمام مالكًا طلب منه الخليفة أن يعلق «الموطأ» علىٰ الكعبة ويجعله للناس إمامًا. ما فرح كما يفرح بعض الناس اليوم، أن رأيه هو اللي يُنصر، ورأيه هو اللي يُقدم، قال: لعل هناك ما لم نطلع عليه، ولم نسمع به، وهكذا، فلم يجعل كتابه الأصل؛ لأنه يجمع في «الموطإ»، وفي غير «الموطإ» ما ليس في «الموطإ»، وهذا لعقله؛ فالإمام مالك عاقل، وأيضًا حرص علىٰ ألا يقع في الإثم، أنْ فقط يحصر الناس علىٰ ما جمع هو.

وكذلك الشافعي قال عبارة مشهورة: «إذا صح الحديث فهو مذهبي»، ولذلك الإمام النووي في «المجموع» مر بمسألة، قال: وهذه قد قال فيها النبي ﷺ... ثم أورد الدليل، ثم ختم، وقال: وبهذا يقول الشافعي.

ولم يأت عن الشافعي أنه قال بهذا، ولكنه قال: وبهذا يقول الشافعي، حيث

إنه قال: «إذا صح الحديث فهو مذهبي»، وقد صح الحديث.

«٥- أنتم أعلم بالحديث والرجال مني؛ فإذا كان الحديث الصحيح فأعلموني به أي شيء يكون، كوفيًّا، أو بصريًّا، أو شاميًّا، حتىٰ أذهب إليه إذا كان صحيحًا.

٦- كل مسألة صح فيها الخبر عن رسول الله ﷺ عند أهل النقل بخلاف ما قلت، فأنا راجع عنها في حياتي وبعد موتي».

نعم، وهذا أيضًا مما يبين.

«٧- إذا رأيتموني أقول قولًا وقد صح عن النبي ﷺ خلافه؛ فاعلموا أن عقلي قد ذهب.

٨- كل ما قلت فكان عن النبي ﷺ خلاف قولي مما يصح؛ فحديث النبي أولىٰ، فلا تقلدوني».

علىٰ كلٍّ، هذه النقول عن الأئمة نُقول ثابتة، سواء عن أبي حنيفة أو عن غيره، وقد أثنىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية علىٰ أبي حنيفة ثناءً عاطرًا، مع علمه بما قد قيل فيه من تضعيف، أو بما قد طعن فيه، ولكن أبو حنيفة متبوع في كثير من العالم الإسلامي، ودلالة الناس علىٰ الخير أولىٰ من أن نتكلم في شخص قد ذكر فيه ما ذكر أهل العلم؛ فهذه النقول التي نقلت ثابتة، والحمد لله رب العالمين، الشافعي نقول كثيرة أوصلها الشيخ إلىٰ أكثر من ثمانية.

«٩- كل حديث عن النبي ﷺ فهو قولي، وإن لم تسمعوه مني.

رابعًا: أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما الإمام أحمد فهو أكثر الأئمة جمعًا للسنة وتمسكًا

بها، حتىٰ كان يكره وضع الكتب التي تشتمل علىٰ التفريع والرأي، ولذلك قال:

١- لا تقلدني، ولا تقلد مالكًا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري، وخذ من حيث أخذوا».

هذه نماذج أن المدارس المشتهرة أئمتها لا تجعلْهم مقلَّدين عندك، إنما ارجع لما أخذوا منه، واعتمد عليه، فأهل العلم يستأنس بأقوالهم، ولكن هي لا تقوم مقام الأدلة، وأردد عبارة رددها أهل العلم من قبل: «أن أقوال العلماء يحتج لها ولا يحتج بها»؛ لأنهم ليسوا حجة، والتقليد الممنوع هو تقليد أو اتباع من ليس حجة بغير حجة، وأما اتباع من ليس حجة بحجة، فهذا اسمه: اتباع؛ لأن الناس ما بين تقليد مذموم وتقليد الجاهل الذي لا يَعرف، وهذا لا يدرك، وهناك الاتباع، وهناك الاجتهاد، وهذه مراتب أهل العلم وطلبته.

«وفي رواية: «لا تقلد دينك أحدًا من هؤلاء، ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه فخذ به، ثم التابعين بعد الرجل فيهم مخير»، وقال مرة: «الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه، ثم هو من بعد التابعين مخير».

٢- رأي الأوزاعي، ورأي مالك، ورأي أبي حنيفة، كله رأي، وهو عندي سواء، وإنما الحجة في الآثار».

هل معنىٰ هذا أنه يطعن في الأئمة؟ لا، ولكن هنا ينبه أن لهم منزلة لا ترتقي إلىٰ مقام أن يجعلوا أصلًا من حيث الاستدلال.

«٣- من رد حديث رسول الله ﷺ فهو علىٰ شفا هلكة».

لأنه رد مصدرًا من مصادر التشريع، إما لهوىٰ، أو لشبهة، أو لشهوة، أو عقل، وهكذا. الأدلة ما ترد، تقبل ويعمل بها.

قال الشيخ الألباني: «تلك هي أقوال الأئمة رضي الله تعالىٰ عنهم في الأمر بالتمسك بالحديث والنهي عن...».

هذه المقدمة بالنقل عن الأربعة مسكتة لأتباع هذه المدارس، فإن أراد أحد أن يتكلم من هذه المدارس، يقال: هذا قول إمامك، فماذا تقول؟ ثم هنا بعد هذه المقدمة من قبل ستين سنة كانت المذهبية – يعني – شديدة جدًّا لدرجة أن الحرم فيه أربعة أئمة، كل إمام يصلي، جامع دمشق كذلك، وهكذا، كل مذهب يصلي به إمامه.

«تلك هي أقوال الأئمة رضي الله تعالىٰ عنهم في الأمر بالتمسك بالحديث، والنهي عن تقليدهم دون بصيرة، وهي من الوضوح والبيان بحيث لا تقبل جدلًا ولا تأويلًا؛ وعليه فإن من تمسك بكل ما ثبت في السنة، ولو خالف بعض أقوال الأئمة، لا يكون مباينًا لمذهبهم، ولا خارجًا عن طريقتهم، بل هو متبع لهم جميعًا، ومتمسك بالعروة الوثقىٰ التي لا انفصام لها.

وليس كذلك مَن ترك السنة الثابتة لمجرد مخالفتها لقولهم، بل هو بذلك عاص لهم، ومخالف لأقوالهم المتقدمة، والله تعالىٰ يقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]».

هو يقول: يعني أنا استدلالي علىٰ الأدلة هذا قول العلماء، هذا قول الأئمة، فتأكيدًا علىٰ الأدلة والنصوص هذا هو قولهم، ولست بدعًا حتىٰ أتهم، أو أن تكون قالة السوء حولي، فهذا هو قول الأئمة، فإن ذممتم فإنما ذممتم فيهم.

«قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: فالواجب علىٰ كل من بلغه أمر الرسول ﷺ وعرفه...».

هنا بدأ ينقل عن غيرهم من الأئمة المحققين الذين ربما بالجملة قد يكون أمرهم تحت مدرسة معينة، أو مذهب معين، ولكن هم يعتبرون من المحققين الذين يعتنون بالأدلة.

«... أن يبينه للأمة، وينصح لهم، ويأمرهم باتباع أمره، وإن خالف ذلك رأي عظيم من الأمة؛ فإن أمر رسول الله ﷺ أحق أن يعظم ويقتدىٰ به من رأي أي معظم قد خالف أمره في بعض الأشياء خطأ، ومن هنا رد الصحابة ومن بعدهم علىٰ كل مخالف لسنة صحيحة، وربما أغلظوا في الرد، لا بغضًا له، بل هو محبوب عندهم، معظم في نفوسهم، لكن رسول الله ﷺ أحب إليهم، وأمره فوق أمر كل مخلوق، فإذا تعارض أمر الرسول وأمر غيره؛ فأمر الرسول أولىٰ أن يقدم ويتبع، ولا يمنع من ذلك تعظيم من خالف أمره، وإن كان مغفورًا له، بل ذلك المخالف المغفور له...».

ماذا قال النبي ﷺ لعمر؟

«والله لقد جئتكم بها بيضاء نقية، أمتهوكون يابن الخطاب»، وفي بعض

الروايات: «**لو كان فيها هدىٰ ما ضلوا**»[1]، وذلك تأكيد علىٰ أن يتبع للنبي ﷺ ولا يأتي بقول غيره معه...

«فإذا تعارض أمر الرسول وأمر غيره؛ فأمر الرسول أولىٰ أن يقدم ويتبع، ولا يمنع من ذلك تعظيم من خالف أمره، وإن كان مغفورًا له، بل ذلك المخالف المغفور له لا يكره أن يخالف أمره، إذا ظهر أمر الرسول ﷺ بخلافه.

قلت: كيف يكرهون ذلك وقد أمروا به أتباعهم كما مر، وأوجبوا عليهم أن يتركوا أقوالهم المخالفة للسنة؟ بل إن الشافعي رحمه الله أمر أصحابه أن ينسبوا السنة الصحيحة إليه، ولو لم يأخذ بها، أو أخذ بخلافها، ولهذا لما جمع المحقق ابن دقيق العيد رحمه الله المسائل التي خالف مذهب كل واحد من الأئمة الأربعة الحديث الصحيح فيها انفرادًا واجتماعًا، في مجلد ضخم، قال في أوله: إن نسبة هذه المسائل إلىٰ الأئمة المجتهدين حرام، وإنه يجب علىٰ الفقهاء المقلدين لهم معرفتها؛ لئلا يعزوها إليهم، فيكذبوا عليهم.

قال: ترك الأتباع بعض أقوال أئمتهم اتباعًا للسنة».

هنا ضرب المثال بالأئمة والدلالة، ثم ذكر بعض كلام المحققين من أهل العلم، ثم أراد أن يبين أن هذه الوصايا من العلماء أئمة المذاهب الأربعة ليس هو كلامًا تنظيريًّا، إنما هو حقيقة عملية، بدليل أن التلامذة أو الطلاب أو الذين اقتفوا آثار هؤلاء الأشياخ، خالفوا هؤلاء للدليل، لم يقتفوا خلفهم ويتركوا الأدلة

---

(١) أخرجه أحمد (١٤٧٣٦)، وحسنه الألباني في الإرواء (١٥٨٩).

لمجرد أن هذا كلام الشيخ فلان، فكان كلام العلماء كلامًا توجيهيًّا تطبيقيًّا، وليس هو طرحًا تنظيريًّا، بحيث لو نوقش قال: إنه قد قال كذا، دع عني ما قد قال؛ لنأتي لما قد عملت.

«ولذلك كله كان أتباع الأئمة ثلة من الأولين وقليل من الآخرين، لا يأخذون بأقوال أئمتهم كلها، بل قد تركوا كثيرًا منها لما ظهر لهم مخالفتها للسنة، حتىٰ إن الإمامين محمد بن الحسن، وأبا يوسف رحمهما الله قد خالفا شيخهما أبا حنيفة في نحو ثلثي المذهب...».

ثلثا المذهب شيء ما هو بسهل.

«... وكتب الفروع كفيلة ببيان ذلك».

وعذروا للإمام أبي حنيفة انتشار مدرسة الرأي في العراق، وقلة النصوص والأدلة، ولما التقىٰ تلامذة أبي حنيفة بالمحدثين، وسمعوا النصوص، هم وقافون لا شك، فرجعوا عن كثير مما كان عليه أبو حنيفة.

«... ونحو هذا يقال في الإمام المزني وغيره من أتباع الشافعي وغيره، ولو ذهبنا نضرب علىٰ ذلك الأمثلة لطال بنا الكلام، ولخرجنا به عما قصدنا إليه في هذا البحث من الإيجاز؛ فلنقتصر علىٰ مثالين اثنين:

١- قال الإمام محمد في «موطإه»: أما أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فكان لا يرىٰ في الاستسقاء صلاة، وأما في قولنا فإن الإمام يصلي بالناس ركعتين، ثم يدعو ويحول رداءه... إلىٰ آخره.

٢- وهذا عصام بن يوسف البلخي، من أصحاب الإمام محمد، ومن الملازمين للإمام أبي يوسف، كان يفتي بخلاف قول الإمام أبي حنيفة كثيرًا؛ لأنه لم يعلم الدليل، وكان يظهر له دليل غيره فيفتي به، ولذلك كان يرفع يديه عند الركوع والرفع منه، كما في السنة المتواترة عن رسول الله ﷺ...».

وهذا متسلسل، يعني: كم خالف شيخ الإسلام ابن تيمية مع أنه بالجملة حنبلي، إلا أن كثيرًا من المسائل خالف فيها الحنابلة، بل حتىٰ الشيخ محمد بن عبد الوهاب يعتمد علىٰ الأدلة، وكذلك إلىٰ أن.. الشيخ ابن إبراهيم رحمة الله علىٰ الجميع، له بعض الاختيارات، كذلك تلميذه الشيخ ابن باز له بعض الاختيارات التي لا يوافق فيها شيخه، وهكذا، فهذه التوجيهات يتلقونها؛ لأن المقصد هو البحث عن ما تعضده الأدلة، ربما يكون هناك الاختلاف في الفهم، النبي ﷺ قال لصحابته: «**لا تصلوا العصر إلا في بني قريظة**»[1]، فبعض الصحابة صلىٰ في الطريق، وقال: إنما أراد النبي ﷺ الاستعجال، وهؤلاء أخذوا بدلالة المفهوم، وبعضهم أَخّر. قال النبي: «**لا تصلوا إلا في بني قريظة**»، أراد دلالة الظاهر والمنطوق، فهنا كلٌّ أخذ بما كان في ظنه أنه هو الصواب، وهنا اجتهاد المجتهد إن وافق فله أجران، وإن خالف فله أجر، أجر الاجتهاد وأجر الموافقة عند الله، هذا له أجران، أما الذي خالف الحق الذي عند الله، فليس له إلا أجر الاجتهاد، وإن كان مخطئًا، فعذره أنه حاول أن يصيب وأخطأ. فهذا الأمر موجود، وحقيقةً هذه

---

(١) أخرجه البخاري (٩٤٦)، ومسلم (١٧٧٠).

تربية لطالب العلم أن يطرح منه التقليد الذي يتشبث فيه بقول شيخه بغير دليل، وأما ما كان فيه دليل، فقد وافق اختياره للدليل الموجود، وهكذا في الكثير من المسائل.

«فلم يمنعه من العمل بها أن أئمته الثلاثة قالوا بخلافها، وذلك ما يجب أن يكون عليه كل مسلم بشهادة الأئمة الأربعة وغيرهم كما تقدم.

وخلاصة القول: إنني أرجو ألا يبادر أحد من المقلدين إلىٰ الطعن في مشرب هذا الكتاب، وترك الاستفادة مما فيه من السنن النبوية بدعوىٰ مخالفتها للمذهب، بل أرجو أن يتذكر ما أسلفناه من أقوال الأئمة في وجوب العمل بالسنة، وترك أقوالهم المخالفة لها، وليعلم أن الطعن في هذا المشرب إنما هو طعن في الإمام الذي يقلده أيا كان من الأئمة؛ فإنما أخذنا هذا المنهج منهم كما سبق بيانه، فمن أعرض عن الاهتداء بهم في هذا السبيل فهو علىٰ خطر عظيم؛ لأنه يستلزم الإعراض عن السنة، وقد أمرنا عند الاختلاف بالرجوع إليها والاعتماد عليها، كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

أسأل الله تعالىٰ أن يجعلنا ممن قال فيهم: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور: ٥١، ٥٢].

« «**شبهات وجوابها**» التاريخ: دمشق، الثالث عشر من جمادىٰ الآخرة سنة سبعين وثلاثمائة وألف هجرية».

يعني قبل تقريبًا ٥٨ سنة، ٥٨ سنة، عمر ليس بالهين، وقد ألف هذا الكتاب وله من العمر ٣٧ سنة، رحمة الله عليه.

«ذلك ما كنت كتبته منذ عشر سنوات في مقدمة هذا الكتاب، وقد ظهر لنا في هذه البرهة أنها كان لها تأثير طيب في صفوف الشباب المؤمن».

بعدما ألف الشيخ هذا الكتاب وانتشر في الناس، رد بعد عشر سنوات علىٰ من اعترض علىٰ المقدمة؛ لأنهم أوردوا شبهات، فبين لهم ونصحهم بهذه الأمور، وأجاب علىٰ الشبهات.

«...لإرشادهم إلىٰ وجوب العودة في دينهم عبادتهم إلىٰ المنبع الصافي من الإسلام: الكتاب والسنة، فقد ازداد فيهم - والحمد لله - العاملون بالسنة والمتعبدون بها، حتىٰ صاروا معروفين بذلك، غير أني لمست من بعضهم توقفًا عن الاندفاع إلىٰ العمل بها، لا شكًّا في وجوب ذلك بعد ما سقنا من الآيات والأخبار عن الأئمة في الأمر بالرجوع إليها، ولكن لشبهات يسمعونها من بعض مشايخهم المقلدين...».

بعض الناس يقولون: صحيح، أنتم علىٰ الحق، وأنتم صح، والأدلة، وتعتنون بالأدلة؛ ولكن هكذا الناس، من الصعب الإنسان يغير، من الصعب الإنسان يبدل، المشايخ كلهم كده، المجتمع كله كده، فيأتي بضغوط اجتماعية، ولو أنه التفت إلىٰ النواحي الشرعية؛ لعلم أن من استعان بالله أعانه الله، ومن أراد إرضاء الله سَيُرضي الناسَ عنه بإذنه. فهذه منه - يعني - تنبيهة لمن يعلمون الصواب ويتركونه.

«...لذا رأيت أن أتعرض لذكرها والرد عليها، لعل ذلك البعض يندفع بعد

ذلك إلىٰ العمل بالسنة مع العاملين بها؛ فيكون من الفرقة الناجية بإذن الله تعالىٰ.

١- قال بعضهم: لا شك أن الرجوع إلىٰ هدي نبينا ﷺ في شئون ديننا أمر واجب، لا سيما فيما كان منها عبادة محضة لا مجال للرأي والاجتهاد فيها؛ لأنها توقيفية كالصلاة مثلًا، لكننا لا نكاد نسمع أحدًا من المشايخ المقلدين يأمر بذلك، بل نجدهم يقرون الاختلاف، ويزعمون أنه توسعة علىٰ الأمة...».

الخلاف توسعة؟!

ابن مسعود يقول: الخلاف شر[1]، الله تبارك وتعالىٰ ينهىٰ عن ذلك: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، يأمر بالاجتماع، ويقول: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وأذكر في مجلس من المجالس سئل شيخنا - رحمة الله عليه - الشيخ عبد العزيز بن باز، السائل قال له: إن خلاف الأمة رحمة، قال: أعوذ بالله، الخلاف شر، الخلاف شر، ليس رحمة؛ بل الاجتماع هو الرحمة، ثم استشهد بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ ...

«...ويحتجون علىٰ ذلك بحديث طالما كرروه في مثل هذه المناسبة رادين به علىٰ أنصار السنة: «**اختلاف أمتي رحمة**»، فيبدو لنا أن هذا الحديث يخالف المنهج الذي تدعو إليه، وألفت كتابك هذا وغيره عليه، فما قولك في هذا الحديث؟

والجواب: من وجهين:

الأول: أن الحديث لا يصح، بل هو باطل لا أصل له...».

---

(١) أخرجه أبو داود (١٩٦٠)، وصححه الألباني رحمه الله.

أول ما بدأ بهدم الأصل، الذي ظنوا أنه شرعي، واعتمدوا عليه، والدليل ما هو صحيح، والأحاديث الضعيفة لها أثر في الأمة، تجد كثيرًا من البدع معتمدة علىٰ أحاديث ضعيفة.

«...قال العلامة السبكي: لم أقف له علىٰ سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع. قلت: وإنما روي بلفظ «**اختلاف أصحابي لكم رحمة**»، «**أصحابي كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم**»، وكلاهما لا يصح، الأول واهٍ جدًّا، والآخر موضوع. وقد حققت القول في ذلك كله في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة».

الثاني: أن الحديث مع ضعفه مخالف للقرآن الكريم؛ فإن الآيات الواردة فيه في النهي عن الاختلاف في الدين، والأمر بالاتفاق فيه، أشهر من أن تذكر، ولكن لا بأس من أن نسوق بعضها علىٰ سبيل المثال، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣١-٣٢]، وقال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ﴾ [هود: ١١٨]، فإذا كان من رحم ربك لا يختلفون، وإنما يختلف أهل الباطل، فكيف يعقل: أن يكون الاختلاف رحمة؟...

«...فثبت أن هذا الحديث لا يصح لا سندًا ولا متنًا، وحينئذٍ يتبين بوضوح أنه لا يجوز اتخاذه شبهة للتوقف عن العمل بالكتاب والسنة، الذي أمر به الأئمة.

٢- وقال آخرون: إذا كان الاختلاف في الدين منهيًّا عنه، فماذا تقولون في اختلاف الصحابة والأئمة من بعدهم؟...».

«وهل ثمة فرق بين اختلافهم واختلاف غيرهم من المتأخرين؟

فالجواب: نعم، هناك فرق كبير بين الاختلافين، ويظهر ذلك من شيئين، الأول: سببه، والآخر: أثره، فأما اختلاف الصحابة فإنما كان عن ضرورة، واختلاف طبيعي منهم في الفهم، لا اختيارًا منهم في الخلاف...».

يعني: هم اختلفوا، ليس الأمر قبلهم، فاختاروا من الخلاف، هم الدليل لما وصلهم اختلفوا في تطبيقه، بخلافكم أنتم، فالخلاف موجود، وأنتم في الخلاف، واضح، الذين احتجوا بما عليه الصحابة. الصحابة لم يكن قبلهم اختلاف، الدليل موجود، اختلفوا في الفهم وقومهم النبي ﷺ، انتهىٰ خلافهم.. و هكذا.

لكن اللي بعدهم يأتي يرىٰ القول ودليله، ويرىٰ القول الآخر وعدم وجود الدليل، فهنا اختياره لعدم وجود الدليل مع الدليل الموجود، هذا خطأ.. واضح، ولا ما هو بواضح.

«...يضاف إلىٰ ذلك أمور أخرىٰ كانت في زمنهم استلزمت اختلافهم، ثم زالت من بعدهم، ومثل هذا الاختلاف لا يمكن الخلاص منه كليًّا، ولا يلحق أهله الذم الوارد في الآيات السابقة وما في معناها؛ لعدم تحقق شرط المؤاخذة، وهو القصد أو الإصرار عليه...».

يعني: أنهم مجتهدون.

«...وأما الاختلاف القائم بين المقلدة؛ فلا عذر لهم فيه غالبًا؛ فإن بعضهم قد تتبين له الحجة من الكتاب والسنة، وأنها تؤيد المذهب الآخر الذي لا يتمذهب به

عادة، فيدعها لا لشيء إلا لأنها خلاف مذهبه، فكأن المذهب عنده هو الأصل، أو هو الدين الذي جاء به محمد ﷺ، والمذهب الآخر هو دين آخر منسوخ.

وآخرون منهم علىٰ النقيض من ذلك؛ فإنهم يرون هذه المذاهب علىٰ ما بينها من اختلاف واسع - كشرائع متعددة، كما صرح بذلك بعض متأخريهم، لا حرج علىٰ المسلم أن يأخذ من أيها ما شاء، ويدع ما شاء؛ إذ الكل شرع، وقد يحتج هؤلاء وهؤلاء علىٰ بقائهم في الاختلاف بذلك الحديث الباطل: «**اختلاف أمتي رحمة**»، وكثيرًا ما سمعناهم يستدلون به علىٰ ذلك، ويعلل بعضهم هذا الحديث، ويوجهونه بقولهم: إن الاختلاف إنما كان رحمة؛ لأن فيه توسعة علىٰ الأمة، ومع أن هذا التعليل مخالف لصريح الآيات المتقدمة وفحوىٰ كلمات الأئمة السابقة، فقد جاء النص عن بعض...».

الخلاف توسعة أم تضييق؟ الخلاف ما يوسع، الخلاف يضيق، يصبح أحزاب وشراذم، فيتمزقون، ويتمزعون، وتضيق دائرة الإسلام التي تجمع الجميع إلىٰ أن يصبح كل حزب بما لديهم فرحين.

«...قال ابن القاسم: سمعت مالكًا والليث يقولان في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ: ليس كما قال ناس: فيه توسعة، ليس كذلك، إنما هو خطأ وصواب...».

يعني: خطأ أو صوابًا، وليس بعد الحق إلا الضلال، يعني الحق لا يتعدد، الحق واحد، لكن أنت تسأل الله أن يدلك عليه، اللهم أرني الحق حقًّا وارزقني

اتباعه، النبي ﷺ كان يدعو ربه: «**اللهم اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك**»[1]، وهو رسول الله، يدعو الله أن يهديه لما اختلف فيه من الحق، والحق ما دلت عليه البراهين.

«...وقال أشهب: سئل مالك عمن أخذ بحديث حدثه ثقة عن أصحاب رسول الله ﷺ: أتراهم من ذلك في سعة؟ فقال: لا والله، حتىٰ يصيب الحق، ما الحق إلا واحد، قولان مختلفان يكونان صوابًا جميعًا؟! ما الحق والصواب إلا واحد.

وقال المزني صاحب الإمام الشافعي: وقد اختلف أصحاب رسول الله ﷺ فخطأ بعضهم بعضًا، ونظر بعضهم في أقاويل بعض، وتعقبها، ولو كان قولهم كله صوابًا عندهم لما فعلوا ذلك، وغضب عمر بن الخطاب من اختلاف أُبَيٍّ بن كعب وابن مسعود، في الصلاة في ثوب واحد؛ إذ قال أُبَيٌّ: إن الصلاة في الثوب الواحد حسن وجميل، وقال ابن مسعود: إنما كان ذلك والثياب قليلة؛ فخرج عمر مغضبًا، فقال: اختلف رجلان من أصحاب رسول الله ﷺ ممن ينظر إليه ويؤخذ عنه، وقد صدق أُبَيٌّ، ولم يألُ ابن مسعود، ولكني لا أسمع أحدًا يختلف فيه بعد مقامي هذا إلا فعلت به كذا وكذا...».

يعني هنا: مقام ولي الأمر، والقول عندما يؤيده ولي الأمر، هنا يرفع الخلاف، وهنا صحابة، فاختار أحدهم مسألة كذا ومسألة كذا، ولكن قول عمر في ذكره لأُبَيٍّ إذًا قول ولي الأمر يرفع الخلاف.

---

(١) أخرجه مسلم (٧٧٠).

«... وقال الإمام المزني أيضًا: يقال لمن جوز الاختلاف، وزعم أن العالِمَيْنِ إذا اجتهدا في حادثة، فقال أحدهما: حلال، والآخر: حرام، أن كل واحد منهما في اجتهاده مصيب للحق، أبأصل قلت هذا أم بقياس؟ فإن قال: بأصل، قيل له: كيف يكون أصلًا والكتاب ينفي الاختلاف؟ وإن قلت: بقياس، قيل: كيف تكون الأصول تنفي الخلاف، ويجوز لك أن تقيس عليها جواز الخلاف؟ هذا ما لا يجوزه عاقل فضلًا عن عالم.

فإن قال قائل: يخالف ما ذكرته عن الإمام مالك أن الحق واحد لا يتعدد، ما جاء في كتاب «المدخل الفقهي» للأستاذ الزرقا: ولقد هم أبو جعفر المنصور، ثم الرشيد من بعده، أن يختارا مذهب الإمام مالك وكتابه «الموطأ» قانونًا قضائيًّا للدولة العباسية، فنهاهما مالك عن ذلك وقال: إن أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا في الفروع وتفرقوا في البلدان وكل مصيب».

كلمة قانون كلمة دخيلة، يعني في جعلها قانونًا – يعني – خطأ، استعمله الزرقا عفا الله عنه؛ لأن الناس تأثروا بالبيئة الاجتماعية والألفاظ السائدة؛ فلذلك اختيار الألفاظ الشرعية أفضل، كلمة قانون، دستور، كلها غلط، إنما نقول: مرجع.

«...**وأقول:** إن هذه القصة معروفة مشهورة عن الإمام مالك رحمه الله، لكن قوله في آخرها: وكل مصيب، مما لا أعلم له أصلًا في شيءٍ من الروايات والمصادر التي وقفت عليها؛ اللهم إلا رواية واحدة، أخرجها أبو نعيم في الحلية بإسناد فيه المقدام بن داود، وهو ممن أوردهم الذهبي في الضعفاء، ومع ذلك فإن لفظها:

«وكل عند نفسه مصيب»، فقوله: «عند نفسه» يدل علىٰ أن رواية «المدخل» مدخولة، وكيف لا تكون كذلك وهي مخالفة لما رواه الثقات عن الإمام مالك أن الحق واحد لا يتعدد، كما سبق بيانه؟ وعلىٰ هذا كل الأئمة من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة المجتهدين وغيرهم.

قال ابن عبد البر: ولو كان الصواب في وجهين متدافعين ما خطأ السلف بعضهم بعضًا في اجتهادهم وقضائهم وفتواهم، والنظر يأبىٰ أن يكون الشيء وضده صوابًا كله...».

واضح هذا النقاش وهذا الطرح، واضح لكم؟

«...ولقد أحسن من قال: إثبات ضدين معًا في حال، أقبح ما يأتي من المحال؛ فإن قيل: إذا ثبت أن هذه الرواية باطلة عن الإمام؛ فلماذا أبىٰ الإمام علىٰ المنصور أن يجمع الناس علىٰ كتابه «الموطإ»، ولم يجبه إلىٰ ذلك؟

فأقول: أحسن ما وقفت عليه من الرواية ما ذكره الحافظ ابن كثير في «شرح اختصار علوم الحديث»، وهو أن الإمام مالكًا قال: إن الناس قد جمعوا واطَّلعوا علىٰ أشياء لم نطَّلع عليها، وذلك من تمام علمه وإنصافه كما قال ابن كثير رحمه الله.

فثبت أن الخلاف شر كله، وليس رحمة، ولكن منه ما يؤاخذ عليه الإنسان كخلاف المتعصبة للمذاهب، ومنه ما لا يؤاخذ عليه، كخلاف الصحابة ومن تابعهم من الأئمة، حشرنا الله في زمرتهم ووفقنا لاتباعهم. فظهر أن اختلاف الصحابة، هو غير اختلاف المقلدة، وخلاصته أن الصحابة اختلفوا اضطرارًا،

ولكنهم كانوا ينكرون الاختلاف، ويفرون منه ما وجدوا إلىٰ ذلك سبيلًا، وأما المقلدة فمع إمكانهم الخلاص منه، ولو في قسم كبير منه، فلا يتفقون ولا يسعون إليه، بل يقرونه، فشتان إذًا بين الاختلافين، ذلك هو الفرق من جهة السبب.

وأما الفرق من جهة الأثر فهو أوضح، وذلك أن الصحابة ﷺ مع اختلافهم المعروف في الفروع كانوا محافظين أشد المحافظة علىٰ مظهر الوحدة، بعيدين كل البعد عما يفرق الكلمة ويصدع الصفوف، فقد كان فيهم مثلًا من يرىٰ مشروعية الجهر بالبسملة، ومن يرىٰ عدم مشروعيته، وكان فيهم من يرىٰ استحباب رفع اليدين، ومن لا يراه، وفيهم من يرىٰ نقض الوضوء بمس المرأة ومن لا يراه؛ ومع ذلك فقد كانوا يصلون جميعًا وراء إمام واحد، ولا يستنكف أحد منهم عن الصلاة وراء الإمام لخلاف مذهبي، وأما المقلدون فاختلافهم علىٰ النقيض من ذلك تمامًا؛ فقد كان من آثاره أن تفرق المسلمون في أعظم ركن بعد الشهادتين، ألا وهو الصلاة، فهم يأبون أن يصلوا جميعًا وراء إمام واحد بحجة أن صلاة الإمام باطلة أو مكروهة علىٰ الأقل بالنسبة للمخالف له في مذهبه، وقد سمعنا ذلك ورأيناه كما رآه غيرنا، كيف لا وقد نصت كتب بعض المذاهب المشهورة اليوم علىٰ الكراهة أو البطلان، وكان من نتيجة ذلك أن تجد أربعة محاريب في المسجد الجامع، يصلي فيها أئمة أربعة متعاقبون، وتجد أناسًا ينتظرون إمامهم، بينما الإمام الآخر قائم يصلي، بل لقد وصل الخلاف إلىٰ ما هو أشد من ذلك عند بعض المقلدين، مثاله: منع التزاوج بين الحنفي والشافعية، ثم صدرت

فتوىٰ من بعض المشهورين عند الحنفية، وهو الملقب بمفتي الثقلين، فأجاز تزوج الحنفي بالشافعية، وعلل ذلك بقوله: تنزيلًا لها منزلة أهل الكتاب، ومفهوم ذلك ومفاهيم الكتب معتبرة عندهم...».

هذا صحيح، هذا موجود، التعصب المذهبي موجود في بعض البلاد، ما يرضون أن يخطب فيهم أو يؤمهم في الصلاة من يجهر بالتأمين، خاصة أهل الحديث في الهند وباكستان يعانون من متعصبة المذاهب، وهكذا أيضًا المتعصبة في المناهج الدعوية، لا يمكِّنون سلفيًّا من منبر ولا من إمامة مسجد، لا يصلون معه أصلًا، هكذا التعصبات، وهذه الأشياء موجودة، قس عليها غيرها.

«...ومفهوم ذلك ومفاهيم الكتب معتبرة عندهم أنه لا يجوز العكس، وهو تزوج الشافعي بالحنفية، كما لا يجوز تزوج الكتابي بالمسلمة، هذان مثالان من أمثلة كثيرة توضح للعاقل الأثر السيئ الذي كان نتيجة اختلاف المتأخرين وإصرارهم عليه، بخلاف اختلاف السلف، فلم يكن له أي أثر سيئ في الأمة؛ ولذلك فهم في منجاة من أن تشملهم آيات النهي عن التفرق في الدين، بخلاف المتأخرين. هدانا الله جميعًا إلىٰ صراطه المستقيم.

وليت أن اختلافهم المذكور حصل ضرره فيما بينهم ولم يتعده إلىٰ غيرهم من أمة الدعوة، إذًا لهان الخطب بعض الشيء، ولكنه - ويا للأسف - تجاوزهم...».

الشيخ الآن يتكلم عن بعد ثانٍ، وهو أنه أثر، ما فقط علىٰ أمة الإجابة الذين تمذهبوا، أمة الدعوة - يعني - غير المسلمين، ممن يسمعون بالإسلام ويرونه مذاهب.

«ويا للأسف تجاوزهم إلىٰ غيرهم من الكفار في كثير من البلاد والأقطار؛ فصدوهم بسبب اختلافهم عن الدخول في دين الله أفواجًا، جاء في كتاب «ظلام من الغرب» للأستاذ الفاضل: محمد الغزالي ما نصه...».

محمد الغزالي السقا، اللي مات، وهذه المقدمة قديمة، وكان لا يظهر منه إلا خير، ولكن الشيخ مو مخليه، يرد عليه، رد عليه.

«...حدث في المؤتمر الذي عقد في جامعة برنستون بأمريكا أن أثار أحد المتحدثين سؤالًا كثيرًا ما يثار في أوساط المستشرقين والمهتمين بالنواحي الإسلامية قال: بأي التعاليم يتقدم المسلمون إلىٰ العالم ليحددوا الإسلام الذي يدعون إليه، أبتعاليم الإسلام كما يفهمها السنيون، أم بالتعاليم التي يفهمها الشيعة، من إمامية أو زيدية؟

ثم إن كلًّا من هؤلاء وأولئك مختلفون فيما بينهم، وقد يفكر فريق منهم في مسألة ما تفكيرًا تقدميًّا محدودًا، بينما يفكر آخرون تفكيرًا قديمًا متزمتًا.

والخلاصة: أن الداعين إلىٰ الإسلام يتركون المدعوين إليه في حيرة؛ لأنهم هم أنفسهم في حيرة».

هو يقول هذا: إنهم في حيرة، وهو اللي في حيرة.

«وأقول الآن: لقد كشفت كتابات الغزالي الكثيرة في أيامه الأخيرة مثل كتابه الذي صدر أخيرًا بعنوان «السنة النبوية»...».

ما يخليه الشيخ، ما تفوت، هكذا أهل السنة، نصحة، ما هم غششة، مر

شخص علىٰ معرفته جابوه ذكرنا قال عنه، لكن هذا الرجل تبدل وتغير، النقل باقٍ، وإن حاشاه يحذر مما هو وقع فيه أو ما انحرف فيه.

«... بعنوان: «السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث»، أنه هو نفسه من أولئك الدعاة الذين هم أنفسهم في حيرة، ولقد كنا نلمس منه قبل ذلك من بعض أحاديثه ومناقشاتنا له في بعض المسائل الفقهية، ومن بعض كتاباته في بعض مؤلفاته - ما ينم عن مثل هذه الحيرة، وعن انحرافه عن السنة وتحكيمه لعقله في تصحيح الأحاديث وتضعيفها، فهو في ذلك لا يرجع إلىٰ علم الحديث وقواعده، ولا إلىٰ العارفين به والمتخصصين فيه، بل ما أعجبه...».

إلىٰ أن قال: «وقد قام كثير من أهل العلم والفضل - جزاهم الله خيرًا - بالرد عليه، وفصلوا القول في حيرته وانحرافه، ومن أحسن ما وقفت عليه رد صاحبنا الدكتور ربيع بن هادي المدخلي في «مجلة المجاهد الأفغانية»، ورسالة الأخ الفاضل صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، المسماة «المعيار لعلم الغزالي» ».

لكن الرد عليه كثير، رد عليه علماء، ورد عليه جهال، الجهال لا يلتفت لردودهم؛ لأنهم جهال، ولكن ردود أهل العلم يستفاد منها العلم، فرد عليه الشيخ ربيع في «مجلة «المجاهد»»، وأفرد رده برد مفرد، في الرد علىٰ الغزالي، وناقشه، وأيضًا الشيخ صالح آل الشيخ، وانظر هنا الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ الشيخ الألباني، لما مر الرجل ذكر له حاشية ما أراد أن يطيل، أحاله علىٰ مليء، اكتفىٰ بأهل العلم من ردوا، هل كون الشيخ ناصر لما يتتبع السقا فيما وقع فيه من أخطاء - معناه أن هؤلاء

أخطئوا في الرد عليه؟ هل يلزم أهل العلم كلهم أن يردوا علىٰ محمد الغزالي؟

لا، العلم رحم، فمن وصلها كفىٰ، فإذا رد عالم من العلماء، اكتفوا. يعني كان ابن سحمان يسمونه صاحب الردود، ويرد وينافح، أتىٰ بعده الشيخ حمود التويجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكان يسمىٰ ويلقب بصاحب الردود، وفي زماننا الشيخ ربيع بن هادي المدخلي - وفقه الله - صاحب الردود، كلهم يذبون عن السنة، ومع ذلك يثني عليهم أهل العلم ويكتفون أنهم كفوهم هذا الجانب، وهذه نعمة من الله تبارك وتعالىٰ، أن يقوم قائم من أهل العلم فيكفي إخوانه.

«وفي مقدمة رسالة «هدية السلطان إلىٰ مسلمي بلاد جابان»، للعلامة محمد سلطان المعصومي رَحِمَهُ ٱللَّهُ».

هذا المعصومي الخجندي، كان في مكة، سجن في مكة أيام الشريف؛ لأنه كان داعية سنة، فكان يحذر من الشركيات، ويوم فتح الملك عبد العزيز، وكان له النصر؛ فالحمد لله، كثير من الأماكن دانت، وأما بالنسبة لمكة؛ فاستجاب أهلها، وهو من ضمن من أخرج من السجن.

«إنه كان قد ورد علي سؤال من مسلمي بلاد جابان - يعني اليابان - من بلدة طوكيو، أوساكا في الشرق الأقصىٰ، حاصله: ما حقيقة دين الإسلام؟ ثم ما معنىٰ المذهب؟ وهل يلزم من تشرف بدين الإسلام أن يتمذهب علىٰ أحد المذاهب الأربعة، أي أن يكون مالكيًّا أو حنفيًّا، أو شافعيًّا، أو غيرها، أو لا يلزم؟ لأنه قد وقع هنا اختلاف عظيم، ونزاع وخيم، حينما أراد عدة أنفار من متنوري الأفكار

من رجال يابونيا، أن يدخلوا في دين الإسلام، ويتشرفوا بشرف الإيمان، فعرضوا ذلك علىٰ جمعية المسلمين الكائنة في طوكيو، فقال جمع من أهل الهند: ينبغي أن يختاروا مذهب الإمام أبي حنيفة لأنه سراج الأمة، وقال جمع من أهل أندونيسيا، جاوة: يلزم أن يكونوا شافعيَّة؛ فلما سمع الجابانيون كلامهم تعجبوا جدًّا، وتحيروا فيما قصدوا، وصارت مسألة المذاهب سدًّا في سبيل إسلامهم».

يعني كانت مانعًا، التمذهبية.

«٣- ويزعم آخرون أن معنىٰ هذا الذي تدعون إليه من الاتباع بالسنة وعدم الأخذ بأقوال الأئمة المخالفة لها، ترك الأخذ بأقوالهم مطلقًا والاستفادة من اجتهاداتهم وآرائهم.

فأقول: إن هذا الزعم أبعد ما يكون عن الصواب، بل هو باطل ظاهر البطلان، كما يبدو ذلك جليًّا من الكلمات السابقات؛ فإنها كلها تدل علىٰ خلافه، وأن كل الذي ندعو إليه إنما هو ترك اتخاذ المذاهب دينًا، ونصبها مكان الكتاب والسنة، بحيث يكون الرجوع إليها عند التنازع، أو عند إرادة استنباط أحكام جديدة لحوادث طارئة، كما يفعل متفقهة هذا الزمان، وعليه وضعوا الأحكام الجديدة للأحوال الشخصية والنكاح والطلاق وغيرها، دون أن يرجعوا فيها إلىٰ الكتاب والسنة؛ ليعرفوا الصواب منها من الخطإ، والحق من الباطل،...».

هذا رد علىٰ الذين يريدون تقنين الشريعة. يعني: يجعلونها علىٰ شكل قانون.

«...وإنما علىٰ طريقة: اختلافهم رحمة، وتتبع الرخص والتيسير أو المصلحة

- زعموا -، وما أحسن قول سليمان التيمي رحمه الله: إن أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله. رواه ابن عبد البر».

صحيح - يعني - من تتبع رخص العلماء كان علىٰ غير دين؛ لأن العالم الفلاني رخص في مسألة كذا، وهذا له أصول، وهذه المسألة علىٰ ما اختاره، وهذا كذا وهذا كذا، فهذا يبحث عن رخص العلماء، هذا لا شك علىٰ غير دين؛ لأن رخص العلماء فيما وقعوا فيه زلات، ليست هي الدين، لذلك سميت رخصًا.

«**وقال عقبه**: هذا إجماع لا أعلم فيه خلافًا. فهذا الذي ننكره وهو وفق الإجماع كما ترىٰ، وأما الرجوع إلىٰ أقوالهم والاستفادة منها والاستعانة بها علىٰ تفهم وجه الحق فيما اختلفوا فيه مما ليس عليه نص من الكتاب والسنة...».

«وأما الرجوع إلىٰ أقوالهم والاستفادة منها...».

إذًا هذه الأمور التي نقلها في الرد علىٰ هذه الشبهات وهذه الأمور، أنصح الجميع بالرجوع إلىٰ هذه المقدمة؛ فالحقيقة فيها تقعيد علمي، ومسائل مهمة في الاتباع والحفاظ عليه.

❁❁❁

طالب العلم والكتب

ظهرت ظاهرة العزوف عن العلماء وكان السبب في ذلك رجل يدعىٰ بمحمود الحداد، وهذا كان في الرياض، ولم يتلقَ عن العلماء، وكان فيها شيخ الشيوخ الشيخ ابن باز، وما عرف عنه مجالسة عنده، ثم انتقل إلىٰ المدينة، وكان

فيها كوكبة من أهل العلم: الشيخ حماد الأنصاري، الشيخ عبد المحسن العباد، الشيخ محمد أمان، الشيخ عمر فلاتة، رحم الله من مات منهم وختم للحي بخير. ولا عرف عنه تلقٍّ عنهم، إنما كان يأتي مكتبة الشيخ حماد، ويصور منها، فما عرف عنه تلقٍّ للعلم، فيقولون: نحن نعتمد علىٰ كلام السلف فضلوا، وأنزلوه وفق ما يرون فانحرفوا، فهذا بسبب الاعتماد علىٰ الكتب دون الرجوع إلىٰ العلماء، فبذلك هجروا أهل العلم.

أيضًا تؤدي هذا الطريقة إلىٰ الزهد في العلماء. يقول: أنا مع أحمد بن حنبل، أنا مع البخاري، أنا مع الآجري، أنا مع العكبري، أنا مع البربهاري، لست في حاجة إلىٰ هؤلاء حتىٰ أجلس معهم، أنا مع أولئك أجلس أقرأ كتبهم وأطلع عليها وأنظر ما فيها.

والزهد في العلماء دليل علىٰ الحرمان؛ لأن من ليس له نسب في العلم كمن ليس له نسب في الرحم، فمن لم يُعرف علماؤه كمن لا يعرف آباؤه، وطالب العلم يعرف بنسبه، فإذا ترجم له؛ قيل: فلان بن فلان، وشيوخه فلان وفلان وفلان، وليس هناك أحد من أهل العلم عندما يترجم له يذكر أبتر دون علماء تلقىٰ عنهم، فانتهبوا لهذا.

أيضًا أنه يغرب في المسائل، ويتتبع الغريب والشاذ والنادر، ومما قال الإمام مالك: شر العلم الغريب. لأن العلم هو المشهور، وقيل: إن أحدهم عاب أحد العلماء قال: أنت تحدثنا بما نعرف، قال: يا بني ما لا تعرف ليس بعلم، العلم ما هو

معروف، قرآن وسنة، ولذلك تجدون هؤلاء الذين لم يتعلموا العلم لا يربطون الناس بالكتاب والسنة، فأعيتهم الآثار والأدلة ووقعوا في الكلام، وفي هذا العصر وقعوا فيما يسمىٰ بالعلوم العقلية، وهي أقرب إلىٰ علم الكلام، مثل ما يسمىٰ بالبرمجة العصبية، القبعات الست، العادات السبع، أيقظ العملاق، حرك الكامن، اكتشف ذاتك، وهكذا يسمونها دورات، وهي في الحقيقة ضلالات. اكتشف ذاتك، أين أنت؟ فهؤلاء أعيتهم الآثار والأدلة؛ ولذلك بها يفتخرون، ويتلقبون المدرب العالمي الحائز علىٰ الشهادة الأولىٰ، الخريج من المعهد الأمريكي، وهكذا.

بل وصل الحال إلىٰ أن يريدوا أن يسلموا هذه العلوم؛ فيوردون الآيات ويوردون الأحاديث حتىٰ يبرهنوا أن هذا الكلام صحيح، وهي أساليب تجارية لترويج البضائع قائمة علىٰ اللف والدوران، قائمة علىٰ الكذب والتملق والتصنع، فتجد الحركات تمثيل، والعبارات تمثيل، ورفع الأصوات وخفض الأصوات، وهكذا، وأصل هذا العلم قام به البوذية، وطُور عند النصرانية، وأتي به إلىٰ الشعوب الإسلامية علىٰ أنه نوع من أنواع العلوم ونمط من أنماط الممارسات والحياة والإدارة وهكذا.

هذه من الأسباب التي توقع طالب العلم في المخالفة عندما يعتمد علىٰ الكتب ابتداءً دون التلقي، أما من تلقىٰ عند العلماء ثم تبحر في العلم؛ فهذا نور علىٰ نور.

مباحث أو كلمات في الكتاب:

ما هو الكتاب الذي تريد أن تعتني به؟

أولًا: العناية بكتب العقيدة، مثل كتب أئمة الدعوة في عصرنا: الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومدرسته، كتب سهلة بسيطة إذا أدركها طالب العلم استطاع أن يعرف عقيدته، وعلىٰ إثر ذلك قامت أمة وكيان وبقيت دعوة، «القواعد الأربع»، و«الأصول الستة»، «كشف الشبهات»، و«الأصول الثلاثة»، يعتني بها طالب العلم، «كتاب التوحيد»، «الواسطية»، وغير ذلك، يتبحر، و«الواسطية» لها شروح كثيرة، وتلك الكتب أيضًا لها شروح يعتني طالب العلم، خاصة ونحن في هذا الزمان.

أيضًا أصبحت من مصادر التلقي الأشرطة والكمبيوتر من خلال الأقرصة المدمجة، أو من خلال الإنترنت، أو من خلال البالتوك، ولا شك أن هذه ليست مماثلة للجلوس في مجلس العلم؛ فقد ذكرنا فيما مضىٰ جملة من الفروق في مجلس العلم عن القراءة المجردة.

إذًا أيضًا تعتني بكتب الأدب والعلم كـ«جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر، وهو كتاب نفيس، أو «الآداب الشرعية» لابن مفلح، أيضًا تستعين بما يقيم لسانك في النحو كـ«الآجرومية» و«قطر الندىٰ» و«الألفية مع شرح ابن عقيل»، وهكذا.

أيضًا في كتب الفقه والحديث يحفظ «الأربعين النووية»، يحفظ «عمدة الأحكام»، «بلوغ المرام»، «منتقىٰ الأخبار»، «صحيح البخاري»، «صحيح مسلم»، السنن، وهكذا، يعتني بالأدلة.

ويقرأ لكتب العلماء، طالب العلم يبتدئ بالمختصرات ثم المتوسطات ثم المطولات، أما طالب علم مبتدئ يذهب إلىٰ السوق فيشتري كتاب «المغني» وكتاب «المحلىٰ»، ثم يأتي ويبحث ويقرأ في «الفتح» وهو لا يزال لم يتأسس في العلم، هذا ربما يقرأ ولكن لا يفهم كالصغير الذي لا يزال في الرضاعة كيف له أن يهضم اللحم؟! هذه وجبة بحاجة إلىٰ من إذا أكلها هضمها وليس إذا أكلها غص بها أو كانت وعكة في بطنه، ولذلك يبدأ بالحليب، ثم ما ينقع فيه ويفت فيه، حتىٰ يستقيم عوده، وتخرج أسنانه، ويستطيع بعد ذلك أن يأكل ويقطع ويهضم. هكذا طالب العلم عندما يتناول المسائل الكبار، وهو لا يزال في سن التحصيل، ربما يتعب، ربما يصاب بصدمة، إن هذا العلم صعب، أنت الذي خطوت خطوات خاطئة، لو كنت علىٰ طريق الأولين، لوصلت إلىٰ ما وصلوا إليه.

اليوم علم، وغدًا مثله ... من نخب العلم التي تلتقط
يحصل المرء بها حكمة ... وإنما السيل اجتماع النقط

فمن رام العلم جملة واحدة، ذهب عنه جملة، بل إن بعضهم ذهب إلىٰ بائع كتب، فقال: أريد منك كتاب المغَنِّي والمحلِّي، وهكذا لما رآها ظن أنها المغَنِّي والمحلِّي، المغُني والمُحَلَّىٰ، وهكذا، فلذلك ينتقي الكتب أيضًا في الأصول والقواعد، ومن أجل الكتب المعاصرة في الأصول كتاب الشيخ ابن عثيمين رحمة الله عليه، «الأصول» في أصول الفقه، أيضًا كتابات ابن سعدي في «القواعد»، فيقرأ فيها، يقرأ شرح «الروضة»، وهناك شرح جميل عليها لابن بدران، أيضًا يقرأ شرح «الكوكب» لابن

النجار، يقرأ أيضًا كتابات ابن سعدي في القواعد فهي جميلة.

التفسير يبدأ في ابن سعدي، أيضًا في تفسيره فهو لطيف، واضح العبارة، يوصل المعنىٰ، وأيضًا ابن كثير، ويتوسع بعد ذلك في الشنقيطي «أضواء البيان»، أو في الطبري، أيضًا يتعلم الفرائض كـ«الرحبية»، السيرة: «كالفصول من سيرة الرسول» لابن كثير، أو المختصرين، «مختصر السيرة»، أو «مختصر زاد المعاد» للشيخ محمد بن عبد الوهاب، جميلة جدًّا، وإن علت همته، وقرأ في «سيرة ابن هشام»، و«زاد المعاد»؛ فـ«زاد المعاد» أفضل وأولىٰ، يتعلم منه أمرين: سيرة المصطفىٰ ﷺ العملية، وأيضًا يتعلم منه نواحي فقهية يقتدي فيها بالنبي ﷺ، فيعتني بنوع الكتاب.

قبل أن يشتري الكتاب لابد أن يسأل، لا تغرنك العناوين، لابد أن تهتم بالمضامين، فتسأل العلماء عن هذا الكتاب، وعن هذا الكتاب، حتىٰ يكون جمعك جمعًا مفيدًا، بعض الناس يجمع كتبًا؛ لكن غير مفيدة، فيكون جمعه جمعًا غير مفيدًا، ربما تكون هذا مكتبته أقل من مكتبة الثاني، ولكن هذه فيها من نفائس العلم، بخلاف تلك التي فيها حشو الكتب، إذا أراد أن يختار فليعتنِ بكتب الأولين، كتب السلف الصالح؛ لأن العلم فيها كثير، والكلام فيها قليل، وكتب المتأخرين، بعضهم ربما تفتح الكتاب وتقلب الصفحات تلو الصفحات؛ فلا تمر بك أحاديث ولا آيات، إذًا هذا ليس بعلم، هذا كلام، حتىٰ بعض المتأخرين لما تفتح كتابه؛ لا تجد له كلامًا، غالب ما فيه آيات وأحاديث، ربما في الصحيفة

الواحدة تجد أكثر من عشرة آيات، وخمسة استدلالات، وأثرين، ونقلًا عن علماء، هذا علم، بخلاف الذي فقط يجعله كلامًا.

أيضًا ميزة كتب الأولين أنها مليئة بالأدلة، وينتصرون لذلك بالأحاديث ويحققون ويخرجون، بخلاف المتأخرين التي امتلأت بالتعصب في الغالب مع كثرة الكلام. ميزة كتب المتقدمين أن فيها حكاية الرواية، فيها الرواية عن الصحابة وعن التابعين، ويذكرونها، خاصة الكتب المسندة، هذه تجعل في النفس مزيدًا من الطمأنينة والقوة في المعتمد عليه والمتكإ أنه منقول بسنده. وهكذا.

فلكتب الأولين ميزاتها، فيعتني بكتب الأولين، من أمثلة ذلك في العقيدة: كتب الإمام أحمد: كتاب «السنة»، «الشريعة» للآجري، «السنة» للمروزي، «السنة» للخلال، «السنة» للبربهاري، أيضًا كتب ابن منده: كتاب «الإيمان»، كتاب «التوحيد» لابن منده، وهكذا، كتب كثيرة في العقيدة.

أيضًا كتب لهم في الحديث: كـ«صحيح البخاري»، «صحيح الإمام مسلم»، تجد طالب علم له عشرون سنة يطلب العلم، ومع ذلك لم يقرأ «صحيح البخاري»، ولم يقرأ «صحيح الإمام مسلم»، وإن قرأه فهي قراءة قديمة، لابد أن يكون منك إدمان نظر في السنة؛ فهناك كتاب أنصح الجميع بقراءته، وهو مفيد: «صحيح الجامع»، و«ضعيف الجامع»، إذا قرأته استطعت أن تنظر إلىٰ خمسة عشر ألف حديث أو ستة عشر ألف حديث ما بين صحيح وضعيف، فتصبح الأمور بين يديك، فأكثر من القراءة، بعض العلماء يذكر أنه قرأ بعض الكتب أربعين مرة،

وبعضهم يقول: خمسين مرة، وهكذا تجد في تراجم العلماء أنه قرأ كذا كذا مرة، وهذا ليس بصعب، فالموفق يختم القرآن في الشهر ثلاث مرات، أربع مرات، خمس مرات، وهكذا، أقل القليل أنه يختمه في الشهر مرة، ومع ذلك ربما تمر علينا أشهر نسأل الله أن يعفو عنا ما ختمنا القرآن، فينبغي له أن يدمن النظر في الكتاب والسنة، حتىٰ يكون سريع الاستحضار للحجة والدليل، ومن أبعد النظر أعيته الحجة، ومن أدمن النظر أصبحت بين يديه بإذن الله، ودع عنك هذه القصاصات؛ فما بين هذه الكتابات نظرات، وجلسات، ومضات، قبسات، كلمات، مطويات، هذه سندوتشات، ما هي علم، تجعل عنده رؤوس المسائل، لكن ما هي علم يستند عليه، يعني لا تخرج لنا علماء، إذا مات علماؤنا كان هؤلاء مكانهم؟ لا. يكون عنده ثقافة إسلامية، نحن لسنا في حاجة إلىٰ هذا، نحن في حاجة إلىٰ علماء، وهذا أيضًا في الجامعات، تركوا الكتب واعتمدوا علىٰ المذكرات، ولا شك أن هذا مما يضر طالب العلم، فلابد لطالب العلم أن يتعرف علىٰ الكتب وأن يبحث فيها وأن ينظر فيها، ولا يعتمد علىٰ شيء آخر، كيف بهذا الزمان، هذه الفهارس، أذكر مرة، رحمة الله عليه شيخنا الشيخ مقبل الوادعي، كنا في المكتبة عنده، وهذا قبل أحداث العراق والكويت، فقال: أخرجوا لي حديث...، ثم ذكره، فذهبنا للمكتبة، وكان يريد أن ينظر أينا يأتي بالتخريج في الأول، فأنا ذهبت إلىٰ «صحيح الجامع»؛ لأنه مرتب ويذكر الراوي ومن أخرجه، لابد أن تعرف مصطلحات المحدثين، إذا ذكر (ق) يعني في البخاري ومسلم، أحيانًا يذكر (م)، أحيانًا يذكر (خ)،

وهكذا، فوجدت الحديث وأتيت به، قلت: هذا الحديث رواه كذا وأخرجه كذا، قال: ائت به من المصادر، ثم تكلم بكلام جميل، قال: إن هذه الفهارس علمت طلاب العلم الكسل، إننا لنبحث عن الحديث، وربما أخذ منا الأيام والليالي، فيأتي أحدكم ويقول: ها قد وجدت الحديث. إن الناظر في كتب العلماء والباحث فيها تجد من فرائد ولطائف العلم، يمر بك فتتحصل علىٰ علوم أخرىٰ، ما كنت لتحصل عليها لولا أنك بحثت. أقول: كيف لو أدرك شيخنا - رحمة الله عليه - الأقراص المدمجة الآن بالكمبيوتر، بضغطة واحدة وإذا بك بحثت في أكثر من ألف مرجع، لا شك وصلت إلىٰ بغيتك، لكن فاتك خيرٌ كثير، فالبحث في الكتب تزداد بها معرفة، تعرف نَفَس المؤلفين، ما تهجر الكتب أيضًا، رحمهم الله.

كيف تتعامل مع الكتاب؟

هذا الكتاب أغلىٰ من الأبناء؛ ففيه العلم، تختار الكتاب الجيد، اختر الطبعة الجيدة، لا يغرك بريق الكتاب، وقد حوىٰ الشر، لا. خذ من الكتب الصافية النقية، كما ذكرت لكم في المجالس السابقة ممن صفا في عقيدته، وصفا في مشربه، في دعوته، في استدلاله، فهذا يكفيك العناء، قراح مصفىٰ، جاهز، فلذلك لما تقرأ في كتب السلف تقرأ بكل اطمئنان، لا تجد في نفسك حرجًا لما تقرأ في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، أو ابن القيم، صافية، صفاء السماء في رابعة النهار، صافية، لا تجد في نفسك حرجًا عندما تقرأ كتب الشيخ ابن باز، أو الألباني، أو ابن عثيمين، صافية، متميزة، مليئة بالأدلة. إذًا أدمن النظر في هذه الكتب ففيها علم غزير.

بالإضافة إلىٰ ما تقدم، الكتابة علىٰ الكتاب، تضبط العلم، بعض الناس من طريقته أنه يكتب في ورق خارجي، ثم يجعل ذلك في كشكول أو دفتر أو كناش، هذه طريقة يتخذها البعض، وبعضهم يكتب علىٰ كتابه، وهناك من يفضل هذه الطريقة وتلك الطريقة، ولكني أرىٰ أن الكتابة علىٰ الكتاب أضبط للعلم، فهي مسألة بجوار تلك المسألة، وتفريع لذلك الأصل، فتعليقك علىٰ نفس الكتاب عند نفس الموطن هي طريقة الأولين، والفائدة بجوار المحل، فإن كان غريبًا أو مشكلًا، فإذا به بجواره، ثم أيضًا اجعل هذا الكتاب متينًا، جيدًا، فقرأت مثلًا علىٰ الشيخ فلان ميزت برمز معين، وبعض طلاب العلم كان يكتب حرف (ز)، ويعني به ابن باز، حرف (ث) ويعني به ابن عثيمين، حرف (ص)، وهكذا يُرَمِّز لكتاباته حتىٰ ينسب العلم لأهله، وربما يذكر التاريخ والمجلس والمكان، هذا أضبط في الزمان، من حيث قوله متىٰ قال هذا، بل ربما بعضهم استخدم الألوان في الأقلام يميز بذلك قوله عن قول غيره من أهل العلم مما دوَّن، فعندما يدون في كتابه جميع كلام العلماء، تصبح هذه النسخة نسخة مميزة، ومع الزمن يصبح هذا الكتاب ذا قيمة؛ لأنه اشتمل عامة التعليقات، فإذا قرأته، فإذا مشايخك بين يديك، تذكرت فضلهم عليك، وإفادتهم لك، وترحمت عليهم، واستفدت، وأيضًا وجدت البحوث ونقولك وكتاباتك بين يديك، فهذه طريقة جيدة تساعد طالب العلم علىٰ أن يجد الفائدة بسهولة، وهي متميزة.

التعليق علىٰ الكتب لابد أن تراعي فيه عدة أمور، لا يكن خطك صغيرًا،

اليوم نظرك جيد، بكرة تكبر، يصبح نظرك ضعيفًا تحتاج إلىٰ نظارة، لكن اجعل كتابتك بخط واضح، خط إذا أردت أن تقرأه تستطيع، وأذكر لكم فوائد في طريقة الكتابة حتىٰ يكون الخط مقروءًا، لا أقول الخط جميل، فهي ملكة يقسمها الله لمن يشاء، ولا أقول الإملاء صحيح، فهذه أيضًا مسألة بالدربة والاستمرار تأتيك، ولكن حتىٰ يصبح الخط ممكنة قراءته، أو يكون بإمكان غيرك أن يقرأه.

أولًا: نوع القلم المستعمل، أحيانًا أنت تجد قلمًا معينًا كتابتك فيه سهلة، بغض النظر عن قيمة هذا القلم، ربما يكون بنصف ريال، ربما يكون قلم رصاص، ربما يكون...، إذًا نوع القلم، أحيانًا لون القلم عندما تستعمله تجد أن خطك فيه أكثر وضوحًا من غيره، أم لا؟ إذًا ركز علىٰ هذا القلم، وإن لم يكن هذا القلم ذا جمال، اجعله في جيبك الأيمن أو الأيسر، واجعل القلم مما تريد أن تتجمل به في الجيب الأمامي، لكن قلمك الخاص اجعله في جيبك الذي لا تريد أن يراه مثلًا أحد؛ لأنه ليس بذاك الجميل، فنوع القلم يساعد، مِسكة القلم قدرات، يعني ترىٰ بعض الناس أحيانًا يمسك القلم كذا، بعضهم يمسك القلم كذا، بعضهم يمسك القلم كذا، بعضهم يمسك القلم كذا، بعضهم يكتب كذا، إذًا مسكة القلم وطريقة الكتابة لها أثر في وضوح الخط.

أيضًا نوع الورق المستعمل، أحيانًا بعض الدفاتر ورقها صفيق، بعضها ورقها ناعم، بعضها ورقها خشن، أحيانًا قلم معين علىٰ ورق معين، الخط يكون فيه جميلًا جدًّا، إذًا استعمل هذا النوع، استعمله لنفسك، كتاباتك فوائدك أشياؤك،

اجعلها في هذا النوع عندما وجدت هذا فيه له أثر.

أيضًا لا تسرع في الكتابة، كتابتك عندما تكون هادية تكون واضحة، أيضًا مما يساعد علىٰ أن الخط يقرأ لا تكتب بخط صغير، خط صغير لا تكتب به، خلي خطك معتدلًا، ليس كبيرًا؛ السطر فيه خمس ست كلمات، وليس صغيرًا جدًّا كأنما هو أثر نملة، لا، اجعله واضحًا مقروءًا.

أيضًا مما يساعد علىٰ وضوح الخط: التباعد بين الكلمات، لا تكون الكلمة في الجوار ملاصقة للكلمة الأخرىٰ، فلربما ذهب لها شيء من النقط، فتداخلت الكلمات؛ فلن تستطيع أن تقرأ خطك، وماذا قيل فيمن كتب ولم يقرأ خطه: فليرعَ مع الغنم.

وضع النقط في محلها، هذا يساعد عليه عدم الاستعجال، ويساعد عليه التفريق بين الكلمات، فأنت تضع النقطة في محلها، حتىٰ لو لم يكن خطك جميلًا، لكنه واضح مقروء، وأول الناس له وضوحًا أنت.

أيضًا مما يساعد علىٰ ذلك استعمال نمط معين، نوع من أنواع الخط، لا تكتب برقعة نسخ، كوفي، هكذا، فتصير كتابتك مشقلبة، الكاف مرة تكتبها كوفية، ومرة تكتب الكاف نسخًا، ومرة تكتبها رقعة، ومرة تكتبها.....، خلي لك نمطًا معينًا في الكتابة علىٰ أساس تمشي علىٰ وتيرة واحدة، وهذا ما يأخذ منك شيئًا عندما تعلم نفسك الكتابة الصحيحة.

لون القلم المستعمل أحيانًا له أثر علىٰ وضوح الخط، بعض الناس يقول: أنا خطي بالأحمر جميل، وبعضهم يقول: خطي بالأخضر جميل، وبعضهم يقول: بالأسود،

وبعضهم بالأزرق وبعضهم بنسل، وبعضهم حبر سائل، وبعضهم حبر جاف، وبعضهم... إذًا أنت استعمل الجيد، وأنا أنصح وليست هذه دعاية لنوع من الأقلام، لكن هناك نوع من الأقلام ضد الماء، أحد الإخوة سقط كتابه في الماء، فحزن من بجواره، وهو لم يحزن، أخرج كتابه ثم عرضه إلىٰ الشمس، الذي حزن لأن كتابك سقط في الماء، وستذهب كتابتك، لأنه معتاد يكتب بحبر سائل ريشة، وهذا لم يحزن؛ لأنه يعرف أنه يكتب بـووتر بروف، هذا قلم ضد الماء، فهو كاتب قلم ضد الماء، فما خاف علىٰ كتابه لما أتاه الماء، أثر الماء باق في كتابه، ولكن كتابته باقية ما تأثرت بالماء، إذًا استعمل هذا النوع فهو جيد.

أيضًا بداية الكتابة، أحيانًا البعض يحشِّي علىٰ كتابه، فيبدأ من هنا، ثم ينزل هنا، ثم ينزل هنا، لا بأس هذه طريقة مستعملة عند الأولين، ولكن حدد بداية كلامك من أين؟ فيجعل له نجمة، دائرة، عددًا، حتىٰ يعرف أنه بدأ من هنا؛ لأنك اليوم حاضر الذهن عارف من أين بدأت وأين انتهيت، لكن بكرة، بعد عشرين سنة، إذا مررت علىٰ كتابك، وأردت أن تراجع فائدتك هذه، وإذا بك تعرف أين البداية، فربما يتداخل الكلام بعضه في بعض، وتفوت عليك الفائدة، أو بحاجة تعيد التركيبة، لا، بدأت من هنا، لا، الكلام يبدأ من هنا، فاجعل لك معرفة بداية الكتابة.

أيضًا من بركة العلم نسبة القول لقائله، فإذا نقلت نقلًا، يتبع هذا النقل بمحل العزو، بصفحة والجزء، وإن كان رقم الطبعة جيدًا، حتىٰ يسهل عليك

الرجوع، أو من استفاد من هذا الكتاب يسهل عليه الرجوع، فكثير من العلماء لهم حواشي علىٰ الكتب، ماتوا، ولكن أصبحت تلك الحواشي كتبًا، فأُخرجت وأفردت تلك التعليقات، فأصبحت كتبًا مستقلة، فنسبة القول لقائله من بركة العلم، فإن كان منقولًا من كتاب تحيل إليه، وإن كان منقولًا سماعًا، فيذكره، وسمعت مثلًا كذا شيخنا قال كذا، أو مثل ما ذكرت لكم: بعضهم يجعل رموزًا، والرموز لها في طرة الكتاب مفتاح، أعني بكذا كذا كذا، أنت اليوم تذكر، بكرة يمكن بعد ثلاثين سنة تنسىٰ أصلًا إيش قصدت بهذه، اجعل لك مفتاحًا، أعني بكذا كذا، أعني بكذا كذا، أيضًا اجعل لك في الكتاب فهرسًا خاصًّا أثناء القراءة، عندما تمر بشيء ترجع إلىٰ طرة الكتاب، ثم تقول مثلًا: فائدة في المسح علىٰ الخفين ص...، وعند الفائدة تجعل مثلًا علامة؛ حتىٰ لا يصعب عليك البحث؛ لأن كل كتاب له محتوىٰ يذكر فيه ما في المؤلَّف، وأنت جعلت محتوىٰ لما قد استفدت من هذا الكتاب، فلست في بحاجة إلىٰ الرجوع مرة أخرىٰ؛ فأنت لك فهرس مستقل، في فوائدك أنت، ربما مع الزمن يكون لك مجموع فوائد تخرجها، كما أخرج بعضهم مجموع نقول ينقلها، وفوائد قد استخرجها من المؤلفات، هذه الطريقة تساعد طالب العلم إلىٰ أن يجد فائدته العلمية حتىٰ لو استمر به الزمن، فيجدها حاضرة بين يديه.

الكتاب: العناية بالعنوان عندما تبدأ حتىٰ تعرف هذا الكتاب، المؤلف حتىٰ تعرف علىٰ من تعتمد في هذا القول، ثم الفهارس حتىٰ تعرف محتوىٰ الكتاب، ثم المقدمة حتىٰ تعرف مراد الكاتب من هذا الكتاب، بهذه الأربع حتىٰ لو لم تقرأ

الكتاب؛ فالكتاب بين يديك، تعرف عنوانه، فإذا عرفت عنوانه أصبح من السهل أن تكون هذه المسألة في الكتاب الفلاني، تعرف مؤلفه، بحيث إذا مرت بك المسألة تقول: نعم، هذا الكتاب الفلاني لفلان، قرأت مقدمته فعرفت مراده، فمرت بك مسألة تقول: نعم، الكتاب الفلاني لفلان، تكلم في مقدمته عن كذا وكذا في كتابه، فهو أراد أن يتكلم عن كذا، قرأت المحتوىٰ والفهارس، تقول: نعم، الكتاب الفلاني لفلان الذي ذكر في مقدمته كذا قد تناول ذلك في كتابه من خلال الفهارس، رأيت ذلك، فيصبح هذا الكتاب حيًّا حاضرًا، بعض أهل العلم إذا اشترىٰ كتبًا جديدة، أو أهديت إليه، لا يجعلها في مكتبته، إلا بعد أن يطبق فيها هذه الأربع، إذا طبق فيها هذه الأربع جعلها، بل كان بعضهم لا يطبق هذه الأربع بل ما هو أشد، لا يجعل في مكتبته كتابًا إلا بعد قراءته، وإلا مركون لا يأخذ مكانه في الرف، ومما أثر عن شيخنا الشيخ عبد الله بن غديان هذا، حتىٰ نقل شيخنا الشيخ أحمد النجمي عنه أنه يقول: طالب لا يقرأ أكثر من عشر ساعات هذا ما هو طالب علم، فالهمة في القراءة وكثرة القراءة هذه بعد مرحلة التأسيس، أو أثناء مرحلة التأسيس قبل الدرس، يحضّر أثناء الدرس، هو حاضر، بعد الدرس يذاكر، هذه من مصادر تلقي العلم في معاملته للكتاب.

نأتي إلىٰ مسألة، وهي: الإعارة، وما أدراك ما الإعارة، إعارة الكتب ذكرها ابن سعدي من الماعون الذي يتدافعه الناس، ويخدم بعضهم بعضًا فيه، أنه لا يمنع الماعون، ولكن أحيانًا ربما هناك لصوص يسرقون الكتب باسم الاستعارة، وإذا

كان الكتاب من مجموعة أجزاء، فهو يحرم هذه الأجزاء، حينًا يأتيك يبغي مثلًا الجزء الخامس، فيصبح هذا الكتاب مبتورًا، أرجع لي كتابي أو خذ المجموعة، إما أن ترجع لي كتابي أو تأخذ المجموعة؛ بل بعضهم اشترىٰ مجموعة أخرىٰ؛ لأن هذه المجموعة مخرومة، أين الذي استعار؟ ذهب، فما ضاعت الكتب إلا بكثرة المستعيرين، فلذلك بعضهم يجعل لها دفترًا، يريد ينفع إخوانه، لكن يريد أن يضمن حقه، بعضهم عنده خاتم، اتق الله وأرجع لي كتابي، اجعل خاتمًا: اتق الله وأرجع لي كتابي، وخاتم تعريفي: هذا ملك كذا كذا كذا، دخل ملكي بالشراء أو بالإهداء أو هكذا، هذه العبارة تذكر البعض، وبعضهم هذه الورقة ينزعها، هذه الورقة التي فيها إثبات الملكية ينزعها، وتذهب معها: اتق الله وأعد لي كتابي، ويجعل بعضهم عند العنوان الأول تكرارًا للختم، وهذه وجدتها في بعض المخطوطات، عند العنوان: هذا الكتاب وقف كذا كذا، ثم داخل في الكتاب عند الأبواب المتقدمة: هذا الكتاب وقف، هذا الكتاب وقف، وبعضهم يجعلها في كل الكتاب، وبعضهم يجعلها في أول الكتاب، وبعضهم في آخر الكتاب، كل هذا تنبيه إلىٰ أن هذه أوقاف، وفي بلد من البلدان وجدت كتبًا توزعها الإفتاء تباع في الأسواق، بل في بلد من البلاد الكتاب مكتوب وقف لله لا يجوز بيعه ويحرم ذلك، وإذا به من ضمن المعروضات للبيع، وهذا الكتاب الذي وجدت عليه وقف يحرم بيعه، أعرفه معرفة خاصة، قلت: كيف تبيع هذا الكتاب وهو وقف لله، أما تتق الله؟ قال: أنا اشتريته، فتجد أحيانًا عدم حرمة للمحسنين، وقد دونوا علىٰ الكتب أنه لا

يجوز بيعها؛ لأنه يريدها فضلًا مستمرًّا يعود إليه أجرها، فقد حبس أصله عن البيع والتداول، وسَبَّلَ منفعته لمن أراد أن يقرأ فيه، فتجد بعضهم يستعير الكتاب، فيذهب به، ثم يذهب الكتاب، ولا عاد الكتاب، فمثل هؤلاء لا يستحق أن يعار كتابًا؛ لأنه ليس أهلًا أن يعار كتابًا، هذا فيما يتعلق بالنسبة لإعارة الكتب.

كيف تقرأ الكتاب؟ هل تبدأ من الوسط؟ بعضهم يجد كتابًا ثم يفتح الكتاب، ثم يبحر، فيرىٰ كلامًا يقول: هذا غلط، وما يعلم أن هذا رد علىٰ شبهة متقدمة، أو سابقه كلام بحاجة إلىٰ أن يرجع إليه، فهناك التقسيمات العلمية في الكتب علىٰ شكل مباحث، أو علىٰ شكل أبواب، أو علىٰ شكل كتب، والأجمل أنك تبدأ هذا الكتاب من بدايته.

متى تقرأ؟

بعضهم يقول: أنا أقرأ عند النوم. يعني وقت الهمة، ووقت النشاط، ووقت الجَلَد، ووقت الفهم، تارك القراءة؟! وعند النوم تأخذ الكتاب؟! تارة تقرأ حرفًا، وتارة يسقط الكتاب عليك، وتارة أنت تسقط علىٰ الكتاب، لا، ليس هذا هو الوقت.

ما هو وقت القراءة؟ ليس هناك وقت معين في القراءة، ولكن أنت أعرف بنفسك، أحيانًا تجد في نفسك رغبة في القراءة في القرآن والتفسير، اقرأ، وأحيانًا تجد في نفسك ميولًا للمصطلح، اقرأ، هذا عندما لا يكون عندك شيء معين تريد النظر فيه، فهذه الميول لها أثر في قوة الفهم.

إذا هبـــت رياحـــك فاغتنمهـــا ... فـــإن لكـــل عاصـــفة ســـكون

وكونك رأيت من نفسك إقبالًا، حتىٰ الطاعات، أحيانًا تجد في نفسك إقبالًا علىٰ الصيام، أقبل، أحيانًا رغبة في القيام، قم، أحيانًا رغبة في الذكر، اذكر الله، فإذا وجدت من نفسك إقبالًا علىٰ شيء معين أقبل؛ فهذا الإقبال في حد ذاته دافع للفهم، لا تجبرها علىٰ شيء آخر ما لم تكن ملزمًا به، واجعل لها نزهة في التراجم، في – مثلًا – «سير أعلام النبلاء»، وتقرأ فيه حياة أولئك الفضلاء، أحيانًا تجدها تريد الأدب، انقلها إلىٰ «الآداب الشرعية» لابن مفلح، وأحيانًا تجدها بحاجة إلىٰ تخوض بشيء من التاريخ، انقلها «للكامل» لابن الأثير، أو «تاريخ الإسلام» للذهبي، أو «تاريخ دمشق» لابن عساكر، أو المختصرات في ذلك، أو المطولات، أحيانًا تجدها تريد السيرة، اقرأ، هذا من حيث نوع القراءة، ومن حيث زمن القراءة، لا تلزم نفسك – وأنت لست ملزمًا – بشيء معين، أحيانًا يكون عندك بحث في العقيدة، لا، خليك علىٰ كتب العقيدة، تبحر فيها حتىٰ تضبط المسألة، اسأل أهل العلم، تبين، جاوبوك، صار عندك فهم، حاول تنمي هذا الفهم أكثر بالتوسع أكثر حتىٰ تضبط عندك الأمور.

أيضًا جدد قراءتك، أحيانًا يمر بك كتاب مختصر، فتقرأه فتجد في نفسك نشوة، فرحًا، قرأت كتابًا، اسأل نفسك كم كتابًا قرأته إلىٰ الآن؟ كم كتابًا ختمته؟ أم تجد أن البعض يتنقل، يقرأ من هنا صفحتين، من هنا صفحتين، من هنا صفحتين، من هناك عشرة، من هناك عشرين، يروح عليك العمر، ما ضبطت المسائل، لا. اضبط، اصبر، يكون عندك منهج استقرائي، إذا أتىٰ الكتاب في يدك،

حتىٰ تجد بعضهم يقول: فما وقع حتىٰ ختمته، وهذا بالدربة أحيانًا النفس ملالة وكلالة، فتمل وتكل، لكنها كالطفل، علىٰ حيث ما عود تعود، فإذا عودتها علىٰ أنك ذويق، تذوق هنا شوي وهنا شوي وتترك، لن تقرأ كتابًا كاملًا، وسيمر عليك زمن ما تذكر من نفسك أنك ختمت لك كتابًا، حتىٰ لو علىٰ مستوىٰ ثلاثمائة صفحة ولّا مائتين صفحة، ما تجد أنك قرأت كتابًا أبدًا، لكن إذا عودت نفسك تقرأ. أحد المشايخ قلت: يا فلان، أراك لبست النظارات، قال: ما أتعبني إلا «الكمال» للمزي، ما أتعبني إلا «فتح الباري»، قرأها أكثر من عشر مرات، هذا يُكوّن عند طالب العلم ملكة وقوة، وبعضهم كثير القراءة، مثل الشيخ ناصر - الله يرحمه ويغفر له -، مخطوطات وغيرها، ما أعرف عنه لبس النظارة، وهذه قوة الله ﷻ يعطي من يشاء، علىٰ كلّ قراءتك تجد فيها لذة، قرأت هذا الكتاب وأنت لك من العمر عشرون سنة، ثم قرأته وأنت أبو أربعين سنة، ثم وجدت تعليقاتك وكتاباتك، أبو أربعين لا شك عنده من النضج والإدراك بخلاف صاحب العشرين، إذًا جدد قراءتك، عد إلىٰ ما مر بك، لا تقل: هذا الكتاب سبق أني قرأته. لا. قراءتك الآن ستكون قراءة أخرىٰ؛ لأن القراءة لها أنواع، هناك قراءة طالب، وهناك قراءة ناقد، وهناك قراءة حاقد، وهناك قراءة راد، وهناك قراءة متأمل، وهناك قراءة مختار، القراءة نفسها، أنت قرأت ليش؟ هذا الكتاب أنت تقرأه لماذا؟ له مقصد القارئ في قراءته لهذا الكتاب، فهذه تؤثر عليه، قراءة الحاقد في الغالب لا يستفيد؛ لأنه حاقد يبحث عن العثرات، لا يبحث عن

الخير، فيصبح كالذبابة لا يقع إلا علىٰ قذر، بخلاف الناقد الذي يقرأ والصواب صواب، ولكن الخطأ ينتقده، وهذا في الغالب يحصل عند بعض طلاب العلم، الذين يدفعون كتاباتهم إلىٰ بعض المشايخ حتىٰ يقدمونها لهم، فيقرأها قراءة إيش: قراءة ناقد فاحص يتأمل ما فيه، خطأ يصححه، غالبًا الدراسات العلمية والرسائل العلمية كدة، قراءة نقد تقييم وإصلاح.

قراءة الطالب تجده يمر علىٰ الجميع، قراءة الراغب هذا لا يميز، لا يميز بين الحبة السوداء، والحية السوداء، فهو نهم فقط يقرأ كذا ويمشي دون تمحيص، دون تحليل، دون تأمل، قراءة الباحث فقط له مسألة معينة ربما يمر علىٰ أشياء لكن الذهن منصرف إلىٰ إيش؟ إلىٰ مسألته، فاقرأ بقراءة الطالب النهم، المدقق، الناقد، المتفحص، تجتمع فيك هذه القراءات مع الزمن تجدها ملكة أصبحت فيك، الفائدة تكتسبها، والمخالفة تنتقدها، والحق تقبله، والباطل ترفضه، وهكذا، هذا مما يميز القراءة.

والحقيقة الكتاب خير صديق، فمجلسه مجلس طيب، لا يزعجك ولا يملك، متىٰ ما أردته فتح لك صدره، ومتىٰ ما أغلقته لم يزعجك يقول لك افتحني، فهو أنيس وجليس.

وفق الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالح.

❁❁❁

بعض ما يشين طالب العلم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا

وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فالحمد لله علىٰ ما منَّ به من تكرار هذا اللقاء للمذاكرة في مجالس العلم، نسأل الله تبارك وتعالىٰ أن ينفع به المتكلم والحاضر والسامع. اللهم آمين.

نبدأ في هذا المجلس بذكر بعض المنقصات أو بعض المزالق أو بعض مواطن الزلل التي ينبغي لطالب العلم أن يحذرها؛ لأنه إن وقع فيها ربما لا يواصل في طلب العلم، فطالب العلم الصغير غدًا كبير وبعد غد شيخ وبعدها عالم من علماء المسلمين، وهذا بالتسلسل، تعلم والصبر في العلم، فإذا حصله مع الزمن تحصل خير كثير، وما أجمل ما قيل، وذكرت لكم قبلُ:

اليوم علمٌ وغدًا مثله ... من نخب العلم التي تلتقط

يحصل المرء بها حكمة ... وإنما السيل اجتماع النقط

فبحور من العلماء كانوا طلاب علم، واعلم أنه ليس هناك عندنا من يخرج هكذا فجأة، فإذا به عالم أو شيخ، لا، يعرف طالب العلم منذ هو صغير في مجالس العلماء ويتلقىٰ العلم، وأما شيوخ الفجأة فاحذروهم، شيوخ الفجأة هؤلاء يُحْذَرون، فغالبًا يظهرون في الفتن، والرجل إذا لم يعرف إلا في فتنة؛ فهذه مذمة وليست ممدحة، إنه ما عرف إلا في فتنة، أين هو قبل الفتنة؟ وانظر لحاله بعد الفتنة إذًا لا يستعجل فيمن يبرزون في الفتن.

أول المنقصات أو المزالق: قلة الإخلاص في العلم وطلبه، وهذه تظهر في عدة صور:

من أشدها: أن ليس للعلم أثر فيه، فهو يلتمس الموطن الذي يُرىٰ فيه أنه حضر أو أنه موجود، ربما يتكلم وليس المحل محل كلام، إنما أنا هنا، أو يسأل ولا يريد السؤال، إنما أنا هنا، فهذه مواطن ينبغي لطالب العلم أن ينتبه لها، وليس معنىٰ ذلك أنه يترك السؤال أو التواجد، لكن يحذر علىٰ نفسه من أن يكون قصده إثبات الحضور للحضور، إنما يحضر ليتعلم.

أيضًا من المزالق: عدم الحرص علىٰ المتابعة، لا يتابع في العلم، إنما هو ذويق، يتذوق المجالس، مرة هنا، مرة هنا. لا، العلم بحاجة إلىٰ صبر، بحاجة إلىٰ جلوس، فيجلس طالب العلم في مجلس العلم، ويستمر من بداية المجلس حتىٰ نهايته، ومن بداية الدرس حتىٰ نهايته، ويعرف بعض الطلبة بالحضور المستمر؛ فلا ينقطع إلا لأمر طارئ أو لشغل ملح، وإلا مجلس العلم لا يقدِّم عليه شيئًا مهما كان، فيعتني بالمتابعة، والمتابعة علىٰ أقسام: المتابعة في الحضور، والمتابعة في التحضير، والمتابعة في المراجعة، فهو يراجع العلم فيستفيد.

أيضًا من المزالق: قلة الأدب، أنه في مجلس العلم ليس مؤدبًا، فتجده يهمس في أذن هذا، ويتكلم مع هذا، ويشاغب مع هذا، ويقاطع المتكلم في المجلس، الأستاذ أو الشيخ أو المعلم، فيقاطعه، وهكذا، كثير المقاطعة، وليس ذلك من باب رفع الإشكال، أو استيضاح شيء غريب، أو طلب بيان لأمر غير متضح، إنما ذلك بسبب سوء أدبه وقلة أدبه في المجلس، وهذا مزلق يشين طالب العلم، فيزدريه

زملاؤه، وتنزل منزلته عند شيخه، وإنما الأدب مع الزملاء، والأدب في المجلس مع شيخه، الاحترام الذي ليس فيه تذلل وخضوع، وليس فيه استهانة، لا، إنما هو الأدب النبوي، كيف كانوا مع النبي ﷺ، وهذا مما ينبغي لطالب العلم أن يعتني به.

هناك مزلق خطير: وهو مزلق حب الظهور، أو التصدر، أو التسلط، أو طلب الشهرة، وحب التعظيم، فيعتني بأن يكون دائمًا في هالة، وألا يأتي لوحده، إنما في جموع، وينصرف في جموع، أو يبرز نفسه في الظهور، فيضبط له بعض المسائل وبأدلتها والخلاف فيها، فتجده يتصدر المجلس فيوردها، ويظن الغمر الحاضر أن هذا إمام زمانه، وهو في الحقيقة عالم بتلك المسائل جاهل بكثير من العلم، وهذه مشكلة؛ لأنه يلتفت إليه عند الجهال، فيسألونه في أمور أخرىٰ لم تمر به؛ فلا يستطيع أن يقول: لا أعلم، وربما تكلم بغير علم، ووقع في خطرٍ عظيم، أنه تجرأ علىٰ الله، وتكلم بغير علم، وقد نهينا عن هذا، ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩]. إذًا مسألة الظهور مسألة خطيرة جدًّا، فانتبه لنفسك، ابن عمر لما سأل النبيُّ ﷺ عن شجرة كالمؤمن، ثم ذهب الصحابة في شجر البوادي، يقول: «فخطر أن أقول: إنها النخلة، فسكتُّ حتىٰ أخبرهم النبي ﷺ». يقول: «فذكرت ذلك لأبي، فقال: لو أنك قلتها لكان خيرًا لي من كذا وكذا»[1]، فرحًا به، ولكنه سكت، تقديرًا لأهل المجلس، هكذا طالب العلم عندما يكون في المجلس، وهناك مثلًا من العلماء، أو مثلًا من طلبة العلم المتمكنين، ينبغي لطالب العلم أن

(١) أخرجه البخاري (١٣١)، ومسلم (٢٨١١).

يعرف حجمه وأن يعرف قدره إلا أن ينص عليه، كما كان يفعل عمر بن الخطاب ﷺ مع ابن عباس، فسألهم في قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]، فتكلموا وتكلموا، ثم التفت إلىٰ ابن عباس، قال: «ما تقول؟» قال: «هي نعي لرسول الله ﷺ بنفسه»، قال: «والله ما هو إلا ذاك»[1]، أو نحو هذا. فإذا خُص طالب العلم وإن كان في المجلس من هو أعلم منه؛ فهنا ينبغي له أن يدلي بدلوه، وأما ابتداءً فلا ينبغي هذا؛ لأنه يشين طالب العلم، فيكون فيه شيء من إبراز الذات أو إثبات الحضور، فينبغي له أن يعرف قدره، وهذا مما يزين طالب العلم، وإذا رأىٰ المجلس أنه سينفض علىٰ عدم علم، يقول: كأني سمعت كلامًا لأهل العلم فيها كذا وكذا، من باب التأثم، حتىٰ لا يكون ممن كتم علمًا، أما في البداية يتصدر الجواب، فلا يزين هذا طالب العلم، إنما يشينه، وأيضًا فيه تربية النفس بألا يتصدر الإنسان، إنما يتكلم عندما تكون هناك ضرورة.

أيضًا مما يشين طالب العلم: قلة العمل، لازم أن تعمل بعلمك، عندما يرىٰ طالب العلم لا يغض البصر وهو يتكلم عن غض البصر، عندما يرىٰ طالب العلم يقع في بعض الشهوات أو الشبهات، وقد نصح أو ينصح، فالناس تنظر وتشاهد، فهذا من موانع قبول العلم عند الناس، أنه كيف فلان يقول كذا ويعمل كذا؟! لابد من العلم، ولابد من العمل بالعلم؛ فالعمل بالعلم من دليل الإخلاص، بل مما ينافي الإخلاص ويفسده الرياء أو التزين بما ليس فيه.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٩٤).

أيضًا مما يشين طالب العلم: أنه يرىٰ أنه بلغ الكفاية من العلم، فلا يتزود، والعلم - كما قيل قديمًا - عندما سئل الإمام أحمد قال: مع المحبرة إلىٰ المقبرة، وهذا هو أمره، كان يقول: من المهد إلىٰ اللحد، والإنسان يتعلم، منذ أن ينزل من بطن أمه وهو يتعلم، ومنذ أن يعلم كيف يرضع، منذ أن يعلم الأمور الحياتية، إلىٰ أن يتعلم الأمور الدنيوية، إلىٰ أن يتعلم الأمور الدينية والشرعية، وهكذا. الإنسان يتعلم، وإذا رأىٰ أنه بلغ من العلم غاية، أو بلغ فيه الكفاية، فهذا عنوان للجهل، فطالب العلم لا يزال طالب علم. وأذكر مرة في الحج كنا في خيمة شيخنا - رحمة الله عليه -. الشيخ عبد العزيز بن باز، فأتىٰ سائل يسأل عن مسألة في الحج، والشيخ حج أكثر من ٦٣ سنة، وله كتاب عن المنسك، «التحقيق والإيضاح في مسائل الحج والعمرة»، فمرت به مسألة من سائل، فقال: تأتي غدًا نراجعها، ثم بعد ذلك قال: أحيانًا تمر مسائل ما مرت علينا من قبل، ولا يزال الإنسان طالب علم. إمام ومعلم ومربٌّ - رحمة الله عليه، فما قال: ماذا أقول للسائل بل؟ قال: تأتينا غدًا، نراجعه. وبعض الناس لا يحار الجواب في فمه، إنما هي علىٰ عجل، وهذا خطر عظيم، فلا تستعجل بالجواب، ولا ضير إن قلت: لا أعلم، أو راجعنا بعدين، أو أبحث وأرد لك، جوابها ليس حاضرًا في ذهني، لا أستحضر كل الأدلة، مرت بي قديمًا لكن لعلي أراجعها ثم أجيبك؛ هذا لأن طالب العلم إذا رأىٰ في نفسه الكفاية حرم نفسه من أشياء كثيرة، بل لا يزال الإنسان طالب علم ويزداد في الطلب ويتعلم حتىٰ يلقىٰ الله تبارك وتعالىٰ.

أيضًا مما يشين طالب العلم: التسويف، يسوف، سوف أفعل، سوف أفعل، ليس بعد. أحيانًا تمر بطالب العلم مسألة، ويقول: سأبحثها، مسألة تتكرر معه يوميًّا، مثلًا: حكم صلاة الوتر، حكم قضاء الوتر، فتمر به هذه المسألة وهو لم يبحث في جواب تطمئن إليه النفس، فيمر به يوم، يومان، طيب: متىٰ تبحثها إذًا؟ أحيانًا شهر، أحيانًا سنة، أحيانًا لا يزال لم يبحث المسألة، وهي أمر تعبدي معه، ويقع فيه أحيانًا، سوف أفعل سوف أفعل، هذه مسألة تعبدية لازم تفعل، أو أن ترضىٰ بما قد قال به أهل العلم، فبعض طلاب العلم لا ترضىٰ نهمته بجواب عابر، بل يقول: أنا أبحث المسألة، متىٰ تبحثها، وأنت كل يوم تقول: غدًا سوف أبحث، ومع ذلك أحيانًا تقع في هذا الأمر وتتوقف فيه: هل تؤديه؟ تقضي الوتر وترًا أم تقضيه شفعًا؟ وهكذا، فتجد بعضهم يسوف، أو أحيانًا في أحكام تعبدية تمر به هو، سأبحثها، سأسأل عنها، طالب العلم الجاد عدو التسويف، ليس عنده سوف، بل عنده الآن، هذا طالب العلم، فما لم يتضح له في لحظته انكب حتىٰ يتعلم تلك المسألة.

وذكر عطية محمد سالم في ترجمته لمحمد الأمين الشنقيطي صاحب «أضواء البيان»، أنه في مجلس من مجالسه مع شيخه، مرت مسألة لم يفهمها، فعاد، فلما عاد انكب علىٰ تلك المسألة ويبحث فيها، كان عنده خادم، حتىٰ أتىٰ له بالشاي، وكان في خدمته حتىٰ وجد جواب تلك المسألة وأشبع نهمته، وزال عنه الإشكال وارتفع فيه الأمر عنده، فلما أتاه للدرس من الغد قال: أخذنا كفايتنا البارحة.

هكذا طالب العلم بحثه جاد ومستمر، وعدو لسوف.

مما يشين طالب العلم: صحبة البطالين؛ لأن هناك من يجلسون في مجالس العلم، ولكنهم قطاع طريق، يجلس مجلسًا مجلسين، ويأتي لطالب العلم الجاد يقول: والله ملينا، والجاد لم يمل، ولكن الذي مل البطال، قال: ملينا، نجلس كم سنة نحن، نقرأ، نسمع، إلىٰ متىٰ؟! إلىٰ أن نلقىٰ الله وأنت تتعلم في مجالس العلم، **«الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه أو عالمًا أو متعلمًا»**، فأنت في خير، وفي فضل، وفي مجالس علم يذكرك الله فيمن عنده، رحمة، وخير، وسكينة، ومغفرة ذنوب، أي مجالسٍ خير من هذه المجالس؟ هذه مجالس العلم، مجالس حياة القلوب.

أيضًا مما يشين طالب العلم: تفضيل مجالس الأنس علىٰ مجالس العلم، كيف مجالس الأنس؟ له مجموعة من زملائه نشأ معهم، عرفهم، إما في حارته، إما في وظيفته، فإذا رأىٰ فلانًا وفلانًا استأنس، ويتواعدون، اليوم عند فلان وبكرة عند فلان، جميل اللقاء. ولكن يفرح بهذا اللقاء وفي هذا المجلس، فيكون فيه مزيد من التوسعة، التوسعة جيدة، أن يكون لك إخوان، تستأنس بهم ويستأنسون بك، ليس كل الطلاب زملاء، فهم في المجلس يطلبون العلم، لكن بعضهم يألف بعضًا، ويأنس بعضًا، لا يكون مجلسكم مجلس الألفة والأنس تفضلونه وتنتظرونه أشد من مجلس العلم، وتجعل مجلس الأنس غاية، ومجلس العلم تجعله وسيلة للاجتماع فيه، لا. مجلس العلم اجعل به ترفع الجهل عن نفسك، وذاك المجلس لا

بأس إن تيسر فحسن، وإلا فليس هو القصد والغاية، بل استمر الحال مع البعض، فتجده في مجلس الأنس، ولا تجده في مجلس العلم، فإذا قيل: محاضرة أو مجلس أو درس؛ لا تراه، وإذا قلت: نحن نجتمع في الاستراحة الفلانية أو الشاليه الفلاني أو في المنتزه الفلاني، تجده من أول الحضور والعدة جاهزة، إن كان شايًا أو قهوة، أو كان شواء، أي أمر من الأمور المباحة، ومجلس العلم لماذا لم تكن فيه متهيئًا؟ ما الذي يمنعك أن تجمع بين الأمرين، بين هذا وهذا؟ ولكن الجد أهله قليل، ولذلك مجالس العلم لا يتحملها البطالون، فيبتلىٰ بقاطع طريق، فهؤلاء قطاع الطريق، فيصرفه عن مجلس العلم.

أيضًا مما يشين طالب العلم: الفوضىٰ في الوقت، ليس عنده جدول، بل لا يعرف ماذا أنا عازم علىٰ فعله يوم غد، بالبركة. لا، طالب العلم مرتب، عنده جدول، إما في ذهنه أو مقيد، من عنده جدول فيكتب فيه ماذا يفعل وماذا سيكون، غدًا عندي مراجعة كذا، وعندي حفظ كذا، وعندي بحث مسألة كذا، وعندي مثلًا كذا، فيرتب جدوله: إن كان مثلًا طالبًا في الجامعة، عنده محاضراته، أو طالبًا في المدرسة، عنده دروسه، عنده وقت للمذاكرة، عنده وقت للمراجعة، عنده وقت لاستفادة علم جديد، عنده وقت لمراجعة ما مضىٰ، سواء في القرآن أو في الأحاديث أو في المباحث العلمية، كذلك الطالب الجامعي، كذلك الموظف، عنده وقت لكذا، ووقت لكذا، ووقت لكذا، وهذا سآتيه إن شاء الله في مجلس آخر، حول طالب العلم وأهله، وطالب العلم وزوجته، ووالديه، وزملائه،

مواقف وأشياء يجب عليك، حياته، مجتمعه، أموره، الجماعات، الفرق، ولاة أمره، علمائه. هذه كلها سيعقد لها مجلس في طالب العلم والناس من حوله.

بعض الناس يقول: طالب العلم ما له علاقة بالناس، ولا يشتغل بأمور الناس، بالعكس، هو فرد من الناس، عليه مسئوليات وواجبات، ويجب عليه أن يؤدي ذلك لمجتمعه، لكن الفوضىٰ في الوقت تجعل الزمن الكثير يُفقد دون إنتاجية، يعني: لعله ابن مسعود أو هكذا، يقول: «إنه يوم حسرة أن يمر علي، لم أزدد فيه علمًا»، أو عبارة نحو هذه، إنه حسرة أن يمر عليك يوم ما تعلمت فيه شيئًا، كم تمر أيام ما تعلمنا أشياء جديدة في أمور ديننا، وما يتعلق به وأشياء، والخير كثير وما نعلم قليل، والله تبارك وتعالىٰ يقول: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، بل أمر نبيه أن يتزود من أي شيء؟ ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، فالاستزادة في العلم مطلوبة، فالذي عنده فوضىٰ في الوقت ربما لا يحصل، فبعض الناس أحيانًا يشد علىٰ نفسه في وقت يسير ويضيع زمنًا، أسأل الآن وأنتم خارجون من اختبارات، سواء جامعية أو دراسية أو غير ذلك، يعني كيف جو التحصيل؟ الوقت مستغل أمْ لا؟ وتمر بكمية هائلة من العلم، أو وجبات دسمة كما يقال إن صح التعبير، يمر بعلوم، وعنده نهمة وقوة، ربما في اليوم الواحد يقرأ مجلدين ثلاثة، ربما المادة العلمية يستعرضها مرتين ثلاثة، وعنده ملخص لها، وعنده استحضار ذهني والمادة بين يديه، هذا في مدة أسبوعين، هذه النهمة لو كانت مستمرة معك طوال العام؛ لخرج لنا علماء، بدليل أنه بعد الاختبارات يشعر

أنه خفيف، وأن الوقت عنده فراغ كثير جدًّا، وفي الأمس القريب زحمة، ما عنده وقت، أحيانًا يريد أن يقضي حاجته في الحمام، ومع ذلك يتأخر حتىٰ ينهي ما في يده، أو ينهي ما يكتب، لماذا؟ الوقت يريد أن يستغله، فبعد ما تذهب هذه المدة يشعر أنه خفيف، والوقت فراغ كثير، يريد أن. لا... استفد، تراه إن جعلته في اللعب والعبث من باب الترويح علىٰ النفس، ولا ها، ريحنا، خلنا نستفد من شيء ثان ومرح. وهكذا... فاتك أشياء كثيرة.

هذه العملية التي أنت مررت فيها وعودت نفسك عليها، حاول أن تبقىٰ فيها، فتصبح ديدنك في حياتك، تستمر معك، إذا – يعني - تأقلمت علىٰ ذلك، وعودت نفسك علىٰ ذلك، تجد أنك أحيانًا إذا مر بك يوم ما قرأت ولا بحثت، ولا سألت، ولا كان كذا، اليوم ناقص، اليوم ما هو من أيامك، واضح، فلذلك استمرار طالب العلم في مزيد من التحصيل يساعده علىٰ هذا.

أيضًا مما يشين طالب العلم: التقطع في الطلب، يحضر أول الدرس، يبدأ الأسبوع الأول، ويفوت خمسة أسابيع، لعذر، لسبب؟ لا. ثم يأتي في الأسبوع السادس، كم فاته؟ فاته دروس كثيرة، إذا جلس في هذا المجلس، هذه المادة المقروءة سابقها أصل لها، مفتاح لها، تجد أنه ما فهم، فيقع في إما أن يعيب المدرس أنه صعب ومعقد ولا يستطيع أن يوصل المادة إلىٰ المتلقين، أو يتهم نفسه أن هذا شيء مركز، ومن عدم السهولة بمكان أني أستوعب هذا الذي حصل، فمن الأفضل أني أنسحب، والقضية ليست هي الأولىٰ ولا الثانية، ليس عيب في الملقي

أنه لغته صعبة، ولا في المتلقي أنه يصعب عليه الفهم، المشكلة أنك متقطع، فاتتك أشياء ولم تدركها، فيتكلم عن أشياء سبقت مقدماتها، لو كنت متصلًا في الطلب؛ لأصبح الأمر سهلًا معك، ولأصبح هذا الدرس عبارة عن حلقة مكملة لما قبلها من الحلقات. إذًا مما يشين طالب العلم التقطع في الطلب.

أيضًا مما يشين طالب العلم: الإهمال وعدم المراجعة، كيف هذا يشين طالب العلم ويعيبه؟ يأخذ علمًا، ويجمع علمًا، لكن ما يراجع، ويقال: لا ترسل جائعًا إلىٰ السوق، فسيشتري ما يحتاج وما لا يحتاج، ولكن ائت له بالطعام، فإن أكل أرسله بعد ذلك، فطالب العلم إذا عمل بعلمه سعىٰ ليحصل علمًا آخر، الذي يذهب ليشتري الأغراض سيجمع أغراضًا، ثم يذهب إلىٰ البيت، ويجعل الأغراض، هو لن يأكل من هذه الأغراض، هو لن يستعمل هذه الأغراض، هو لا يزال في حاجة إلىٰ نفس هذه الأغراض التي عنده، فإذا ذهب سيجمع نفس الأغراض، لكن استفاد منها؟! بعضهم يشتري كتابًا في الأذكار، ثم يجد كتابًا في الأذكار، فيشتريه، هل حفظت الأذكار؟ هل طبقت؟ إذًا من اشترىٰ الطعام ولم يأكل فلا يزال جائعًا، فهو سيبحث عن طعام، لكن لو أكل من هذا الطعام؛ لشعر بشيء مما يقيم صلبه، وهكذا يأخذ حاجته، ويأخذ نهمته، فعدم المراجعة تجعل الإنسان تمر به المسائل مكررة، ربما أحيانًا يكتبها، ثم بعد ذلك لا يقرأ كتابته، كم كتابًا كتبته وما قرأته؟ كم تعليقًا علقته ولم تراجعه؟ كم مذكرة شحنتها بالكتابة ولم تمل ناظريك بقراءتها؟ وهكذا عاتب نفسك؛ لأن هذا مما يشين طالب العلم.

طالب العلم بحاجة إلىٰ أن يشحذ همته بقراءة كتب التراجم، وهذه جميلة، فإذا ما له علاقة بالتراجم ذهبت عنه بعض القدوات، ما يستطيع أن يتصور، قد يجد في زمانه شيئًا، لكن أيضًا مراجعة سير الأولين تشحذ همته، وأيضًا ينبغي لطالب العلم أن يعتني بنفسه من حيث التزكية، وهذا سيكون في مجلس في يوم غد إن شاء الله، وهو معاملة طالب العلم لنفسه، من حيث التزكية، من حيث التعبد، من حيث أمور كثيرة سنتناولها إن شاء الله.

أيضًا مما يشين طالب العلم: الحسد، وهذه صفة ذميمة، يحسد زميله، كيف يحسده؟ إذا أتىٰ بشيء؛ قال: لا، لا، ما هو هذا، أو إذا أخطأ قال: هه، أخطأ، فيبحث عن زلته، لماذا؟ لأنه غيران منه، أصابته غيرة، وهذه صفة ذميمة وصفة قذرة، وهي من صفات إبليس، إذًا ينبغي لك ألا تحسد، فهذا يذهب بركة العلم والانتفاع به، ومن ميزة هؤلاء الحسدة أنه ربما يذم المحسود بغير مذمة وبغير دليل، ولكن مجرد: اتركه، اتركه، لماذا؟ بس اتركه. وهذا حسد؛ لأنها مذمة من غير وجه حق، إن كان فيه ما يشينه في دينه؛ فلابد أن تنصحه، أو ما هو الذي أتاك من جانب الدنيا؟ ولكن هو الحسد، الغيرة، ربما ذنب، معاملته، شدته، أخلاقه، لا يستطيع أن يذمه مثلًا في عقيدة، لا يستطيع أن يذمه في منهجه، في تعبده، فتجده يقول: هذا كذا، وهذا كذا، وهذه السبة ليست لهذا الأمر، وإنما لأمور نفسية، أو شخصية، أو مالية، أو اجتماعية، فيجعلها قضايا منهجية، هذا غير صحيح، إنما هذا نوع من المرض، شفانا الله وإياكم من هذه الأمراض؛ فهي تذهب بركة العلم.

أيضًا مما يشين طالب العلم: الكبر والغرور، فيغتر بنفسه، ويتجاهل الحاضرين، ويزدريهم، ما يعرفون يسألون، ما يعرفون يستفيدون، ما يعرفون، فيجعل نفسه هو الذي يعرف، وهو الذي يفهم، وهو الذي يدرك مراد العلماء، وهو الذي يعرف كيف يسألهم، وهو الذي... وهذه الحقيقة صفة أيضًا تشين طالب العلم، ومزلق خطير، فيتكبر، وقيل: إن القَصيمي سبب انحرافه كبره واستعلاؤه وازدراؤه لغيره وغروره بنفسه، وهذا واضح في كتاباته، فطالب العلم لابد أن ينقي نفسه من الحسد والكبر.

فمما يزين طالب العلم: هو الاهتمام بأهل العلم، والدلالة عليهم، والاستفادة منهم، وهذه حتىٰ بين طلبة العلم والعلماء حتىٰ تكون هذه الصفات أيضًا، يقال: إن الأقران كالديكة، وهكذا، فربما طعن في غير محل طعن، ولكن الذي يعالج نفسه تجد عنده الدلالة، عنده التقدير، عنده الثناء العطر لإخوانه، النبي ﷺ لما سألته امرأة قالت: فإن لم أجدك، قال: «**اسألي أبا بكر**»[1]، هذا فيه الدلالة علىٰ من يثق في علمه، لمن يأتي، وهكذا مر بنا عندما سأل أحدهم ابن مسعود، فقال: ابن أم عبد هو أقربنا سمتًا، وهكذا، ليس فيه حسد، بعض الناس لا يرىٰ إلا نفسه، أنا، أنا ابن جلا وطلاع الثنايا، أنا الذي لا تستفيدون إلا مني، ما هذا تذهبون يا مساكين؟ الفائدة عندي فقط، فيمدح نفسه، غرورًا، فيعيب من يذهب عنه حقدًا وحسدًا وكبرًا واستعلاءً، وكلها صفات سيئة جدًّا وذميمة وقذرة وقحة، يرفع

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٦١).

نفسه عنها طالب العلم، الذي يتعلم من العلم ما تزكو به نفسه، وما تطهر، وما يسعىٰ به لرفع الجهل عنها، يسعىٰ للعمل.

ولذلك نوصي طالب العلم أن يكثر من المشائخ، فيتعلم عند العلماء، هذا يزيل عنه التعصب، وأحاديث النظرة، وليس عنده إلا قول شيخه، إذا عرف العلماء واستفاد منهم، طرائقهم مختلفة في التعليم وفي الاستدلال وفي الدلالة علىٰ المسألة، أو طرق إيضاح العلم للمتعلمين، فيستفيد من هذا، ويستفيد من هذا، ويعرف أدلة هذا، ويعرف أدلة هذا، فتصبح عنده - يعني - ملكة وسعة أفق وسعة صدر أيضًا، وسعة للخلاف بين أهل العلم، وهذا سنذكره في - يعني - دور طالب العلم، أو ما يجب علىٰ طالب العلم في الخلاف بين العلماء، فيعرف قدر من معه من أهل العلم، وكان أحدهم لما سأل أبا موسىٰ الأشعري قال: «لا تسألوني ما دام هذا الحبر فيكم»[1]، يعني من؟ يعني ابن مسعود، وهذا دلالة عليه، وكما قيل: لا يسأل ومالك في المدينة، هيبة علمه، وأمره، وهكذا، ولذلك ينبغي لطالب العلم أن يعرف قدر أهل العلم.

❁❁❁

أخلاقيات طالب العلم مع من حوله

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده، وعلىٰ آله وصحبه.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٣٦).

أما بعد:

حديثنا في هذا المجلس حول أخلاقيات طالب العلم مع من حوله، يعني ما يتعلق بطالب العلم ونفسه، نصيبه من القرآن، نصيبه من الليل، قيام الليل، نصيبه من الزهد في هذه الحياة الدنيا، جانب الورع، وفرق بين الزهد والورع، فالزهد: ترك ما لا ينفع في الدار الدنيا، والورع: ترك ما قد يضر في الدار الآخرة، وطالب العلم يكون ورعًا.

أيضًا مسألة المعاصي والزلات والأخطاء: فمن أشد ما يكون علىٰ طالب العلم بعد فتنة حب الظهور، تأتي فتنة المال وفتنة النساء.

فتنة المال، ينفتن في تحصيله أو في طرق جمعه حتىٰ لو كانت غير مشروعة، حتىٰ لو أهان نفسه وذلها، أو في المسألة الأخرىٰ في فتنة النساء، ربما يدخل في فتنة النساء من جانب طلب العلم والدعوة إلىٰ الله، فينبغي للإنسان أن يحذر، والنبي ﷺ يقول: «**ما تركت بعدي فتنة أضر علىٰ الرجال من النساء**»[1]، أو هكذا، أو كما قال ﷺ، كذلك فتن الأمم السابقة في النساء، لا سيما وهذا العصر من خلال الإنترنت أو الإيميل أو الاتصال الهاتفي أو الجوال، ولا شك أن الإنسان ربما يتوسع في أمر ليس له فيه سعة، سواء بالتبسط في الكلمات أو الضحكات أو الموانسة بالاتصالات، والشيطان يزين هذا باسم الدعوة إلىٰ الله وباسم طلب العلم، وكم حصلت من فتن وشرور وأخطار بسبب هذه الأمور، فينبغي لطالب

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠).

العلم ولطالبة العلم أيضًا أن ينتبهوا من هذا الجانب، فكما أن هناك مزالق لطلاب العلم أيضًا علىٰ طالبات العلم، بل بلغني أن بعضهن يجتمعن في استراحات باسم الدعوة، استراحات كما يجتمع الشباب، وهذا لا شك له الآثار السيئة الكثيرة، فالله تبارك وتعالىٰ لم يأمر النساء بالدعوة؛ لذلك لم يجعل الله نبية، إنما المكلف بالدعوة هم الرجال، وأما المرأة بحسب طاقتها في بيتها، أو زوار يأتون إليها، وأما التنقلات والسفريات فما عرفت إلا عن بعض الجماعات البدعية المتأخرة كالإخوان المسلمين وجماعة التبليغ الذين أخرجوا النساء من البيوت، والله تبارك وتعالىٰ يقول: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، لو كان لهن مكان يجتمعن فيه في المسجد لا بأس؛ فالنبي ﷺ جعل لهن مجلسًا أما هذه الاجتماعات في الاستراحات، ثم تسافر لها النساء، وتأتي لها النساء، وفلانة داعية، وفلانة داعية، ولربما سول في نفسها أن تركب مع التاكسي من دون محرم باسم الدعوة، ولربما حصلت الخلوة باسم الدعوة، ولربما سافرت من غير ذي محرم باسم الدعوة في سبيل الله، وهكذا، بل لربما جلست مع الرجال وأجرت الاتصالات كأنها هي رجل من الرجال، وهذا مزلق خطير ينبغي للمرأة أن تنتبه لنفسها، وكم من امرأة طُلقت بسبب هذا التوسع، وكم من فتاة عذراء بكر تعطلت من الزواج؛ لأن الكل لا يرغب فيها؛ لأنها فيها صفات الرجال، وهكذا، ينبغي للمرأة أن تنتبه لنفسها في مسائل الطلب.

أيضًا فيما يتعلق بطالب العلم في معاملة الوالدين، معاملة الوالدين لابد أن

يكون بالاحترام والتقدير ولين الجانب وخفض الجناح وعدم الرد وعدم رفع الصوت، إنما يكون بالدعاء: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤]، ولذلك قيل في مثل هذا: كيف يكون هذا الذل وهذا الخطاب وهذا القول الكريم؟ فقيل: هو كما يخاطب العبد المذنب سيده. كيف يكون هذا الخطاب؟ فيه انكسار وفيه... إنا نجد بعض من ينتمون للطلب لين الجانب مع شيخه ولكنَّه شديد البأس مع والديه. الوالد أولىٰ من الشيخ، فلابد أن يكون خطابك للوالد أو الوالدة خطابًا فيه أدب. نعم بيَّه - علىٰ حسب أحيانًا بعض العبارات الدارجة - سمي، أُأْمري يا مه، نعم بعضهم إذا خوطب: ها، ليش ما تقولوا لفلان، خلوا فلان، أنا مشغول، عندي بحث... هذا غلط، الواجب طاعة الوالدين، فيفتح الله عليك في هذا البحث؛ فتجد، فيفتح الله عليك في هذه المسألة؛ فتجد. فلا تقدم هذه علىٰ حق الوالدين؛ فحق الوالدين لا يعدله حق؛ فقد ذكره الله بعد حقه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، فيا طلبة العلم، الله الله في والديك، في الاحترام، حتىٰ يدعوا لكم بالتوفيق، يدعوا لكم بالفهم؛ فدعاء الوالد مجاب لولده، وإياك أن ترمىٰ بسهم دعوة فتصيبك، فتعيش في حياتك مخذولًا بسبب سهم قد أصابك وهو في محله، فالوالدان ينبغي أن يكون لهما التقدير.

أيضًا طالب العلم وزوجته، كيف معاملته لزوجته؟ تجد بعض طلبة العلم لا يعير هذه المرأة احترامًا، ولا تقديرًا، يريد وقت الطعام الطعام جاهز، وقت

اللباس اللباس جاهز، هل هي آلة؟ هي امرأة ذات إحساس، هي أنثىٰ ترغب في العاطفة، طالب العلم هذا لو اتصلت به سائلة لوجدت من لين الجانب، وإيصال العبارة والتفهيم ما لا يعامل به زوجته، وهذا غلط، فهي أولىٰ بهذه التصرفات، من حقها المشاعر الحسنة واللطف، كم كفتك؟ وكم هيأت لك بما يساعدك في الجو العلمي للبحث؟ أو حتىٰ في تربية الأبناء وأنت في الرحلة والطلب؟ فإذا أتيت أنا تعبان، أنا مشغول، أنا كذا، أنا كذا، كم صنعت؟ كم أدت؟ كم هيأت؟ فلذلك لها حق، فطالب العلم بعد عنايته بوالديه، له عناية فائقة بزوجته، هي خليلته، هي صاحبته، هي معه أكثر الوقت، كيف لو أنه جعل درسًا أيضًا في البيت، درسًا علميًّا، تتذاكر وإياهم، إن بعض الناس يميط الذباب عن الناس، والعقرب تحت قدمه، وهو ذو دعوة ونشر للخير في الناس، ولكن بيته محروم من الخير الذي عنده، بيته محروم من العلم الذي عنده، زوجته أبناؤه، أو زوجاته أو أبناؤه، والداه محرومان من العلم الذي عنده، إذا جلس معهم فهو عامي بسيط، لا ذكر للآيات ولا للأحاديث، ولا تعليم، إنما يجب عليك وجوبًا أوليًّا أن تعلمهم وأن تنقذهم من النار، ماذا قال الله تبارك وتعالىٰ في هذا: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾ [طه: ١٣٢]، أصل الصبر ثلاثية، لكن زيد في مبنىٰ الكلمة دليل علىٰ الزيادة في المعنىٰ، وهي من المجاهدة والصبر لهم؛ لأنه يجد منه من المشقة، وبعض الناس يقول: أنا أمرتهم، نبهتهم، انتهىٰ، لا. الاستمرار والمداومة في تعليم الأهل.

أيضًا مما عليه من هذه المعاملات وهذه الأخلاقيات أو الأدبيات: معاملته لأولاده، ربما تجدهم، بعض الناس يعامل طلابه معاملة فائقة ورائقة، لا يجدها أبناؤه منه، هذا غلط، لابد أن يحسن، أول إحسانه لأولاده، وأن يعلمهم، وأن يحذر، ترىٰ أن العداوة يمكن أن تكون في البيت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٥]، ومع ذلك منهم سكن، وإذا مت لا ينقطع عملك إذا كان هذا الولد ولدًا صالحًا، ألا تعتني بولد صالح في بيتك؟ عمل لا ينقطع، وهذا مما يجب علىٰ طالب العلم أن يهتم به في مسألة التربية، أبناؤك علىٰ الخير، لا تغلق عليهم، ولا تفتح لهم، كن بين ذلك متوسطًا معتدلًا، لا تمنع المباح، ولا تتساهل في الممنوع، فالمباح أباحه الله، والممنوع منعه الله، فلا تجعل المباح في منزلة الممنوع.

أيضًا معاملة طالب العلم للأرحام، معاملته لأرحامه، أعمامه، عماته، أخواله، خالاته، وبنو هؤلاء، وكذلك الأجداد، لهم حق الرعاية، يحضر مناسبات، في الأفراح، وفي الأتراح، وإذا كان هناك منكر نبه عليه؛ لأن من طلبة العلم من لا يتكلم في قومه ولا مجتمعه، والله تبارك وتعالىٰ قد أمر بأن يعتني الإنسان بمن لهم عليه الحق، كما قال الله سبحانه ﷻ لنبيه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، وأيضًا الأقربون أولىٰ بالمعروف. فأن تنصح أهلك وأن تنصح أرحامك، أولىٰ من أن تذهب يمينًا وشمالًا، فهؤلاء هم محل الزرع، هم محل الحرث، ثمرة مباركة، فلا تنس ذلك؛ فالنبي ﷺ بدأ بعشيرته الأقربين، ثم أمره الله بأن يدعو كما قال له: ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾، فبدأ ينشر دعوته ﷺ. إن من الناس من يذهب يمينًا

وشمالًا، ومع ذلك ليس له في أرحامه نصيحة، فينبغي لطالب العلم أن يكون أكثر هؤلاء صلة، وأبعدهم عن القطيعة، إذا كان طالب العلم مع مجتمعه صاحب قطيعة للأرحام، ما فرقه من العوام، الذين يتعاملون بالشحناء والبغضاء والأحقاد؟ طالب العلم يتميز بأنه نبراس، بأنه قدوة صالحة في مجتمعه، فيا طلبة العلم، إن الناس ينظرون لكم كقدوات، بل لربما حصل منكر في المجلس، فيلتفتون إليك، فإن تكلمت انتبهوا، وإن سكت وانصرفت تهامسوا بينهم أن ليس في هذا شيء، لو كان في هذا شيء لأنكر علينا فلان، والعوام يتخذون أفعال الصالحين وطلبة العلم حجة، بدعوىٰ أن لو كان الأمر الذي وقعنا فيه مخالفًا لأنكر علينا فلان، وهكذا، وهذا يقع - يا معشر الإخوة - في كثير من المجالس، سواء في منكرات الأفراح، أو في منكرات المجالس، أو التقاء أبناء العشيرة، فهم ينظرون لطالب العلم نظرة خاصة، فهو إن نبههم فهم يعلمون أنهم علىٰ خطإ، ربما يستمرون، لكن يعلمون أن هذا لا يوافقهم فيه، وإن سكت، السكوت عندهم حجة علىٰ جواز الفعل والمواصلة فيه، حتىٰ علىٰ مستوىٰ لعب الورق، أو حتىٰ علىٰ مستوىٰ بعض الألفاظ أو التصرفات السيئة، فيقول: فلان كان معنا، لو كان في ذلك شيء لنبهنا، وهكذا. أنتقل إلىٰ الأمر رقم كم؟ الحادي عشر.

معاملة طالب العلم للمجتمع: المجتمع عبارة عن خليط من الناس: الجيد والسيئ، الفقير والغني، والأمير والمأمور، الحاكم والمحكوم، المجتمع مختلف في تكوينه وتركيبه، ومع ذلك ينظرون للصالحين وأهل العلم نظرة متميزة، في ملبسك،

في هيئتك، في دخولك للسوق؛ لأن هيئتك تفرض أحيانًا عليك بعض الأمور؛ فالصالح عندما يأتي يا طالب العلم، بين صفته؛ لأن يا إخوان، بعضهم يربي اللحية، وبعض الناس اللحية تربيه، واضح أحيانًا ربما يريد أن يقع في شيء، لكن يستحي ويهاب من هذه أن ترىٰ في هذا الموطن، فهذا ربته هذه اللحية، ليس هو الذي رباها؛ لأنها منعته عن مواقف، عن تصرفات، تجد طالب علم في الطريق العام، وهيئته هيئة الصالحين، يقود السيارة، يقطع الإشارات، يتجاوز تجاوزًا سيئًا، سرعة جنونية، فتجد الناس يتهمون الصالحين، ربما يتكلمون: هؤلاء ما يحترمون الآخرين، ربما هو يمارس هذا الخطأ نفسه، ولكن لا ينظر علىٰ أنه خطأ، كما أنه خطأ من فلان المعروف، هذا خطيبنا، هذا إمامنا، هذا شيخنا، ومع ذلك يفعل كذا، فأنت تترك هذا ليس من أجل الناس؛ إنما من أجل الله تبارك وتعالىٰ، وألا يوصف من يتصف بصفاتك بهذه النقائص، إذًا هذه مما يجب علىٰ طالب العلم في مجتمعه.

أيضًا أموره الاجتماعية في هذا المجتمع، من إعانة المعدوم، والوقوف في النوائب، وإنكاره للمنكر، وتعاونه مع أهل الخير والصلاح، فطالب العلم معروف عنه مواقفه في مجتمعه، فهو ليس شخصًا هامشيًّا، إنما هو إنتاجي في حيه ومعروف، هو في حيه حي ويحيي الحي، من بلاغ وتنبيه ودعوة وإصلاح، ورعاية أرملة ومطلقة، ورعاية يتيم وفقير ومسكين، فطالب العلم عندما يفقد في مجلسه وإمام المسجد، الجماعة ربما بعضهم لو غاب ما يفقد، لكن لو غاب هو فقد؛ لأنهم ينظرون إليه بمثابة الأب، الجميع سيفقدونه، لو فرضًا واحدًا، لو يومًا واحدًا،

فيدركون إقامته وسفره، وجوده وغيابه، فهو أبو الحي، يرجعون إليه، ويستعينون برأيه، ويستفيدون منه، فينبغي له أن يبذل لهم النصيحة، وألا يكون استغلاليًّا أو غير مبالٍ، هذه مسائل مهمة لمعاملة طالب العلم في مجتمعه؛ لأن هذه حقوق، تجب عليه من حيث المعاملة.

الحقيقة الكلام في مثل هذا يطول، يعني ثمرة هذا كله أن يكون طالب العلم عامل بعلمه بما يجب عليه في الوقت المناسب والزمان المناسب بالتصرف المناسب، ماذا يجب عليه، ينبغي ألا يتخلف فيه، ينبغي لك ألا تفقد حيثما يجب أن توجد، وألا توجد فيما يجب عليك أن تفقد فيه، المنازعات، المهاترات، قيل وقال.

طالب العلم وزملاؤه: الزملاء لهم حقوق؛ حفظ السر، بينهم أسرار، فليس كون صاحب لك سره خفي، وعندما يحصل بينك وبينه شيء، تنشر زلته، أو تنشر أمره، أو تفضح ستره، وتهتك أمره.

أيضًا ذكره بالحسن، فيترك منه غيبة، ويترك منه النميمة، ويترك منه التحريش وقالة السوء، إنما ينبغي له أن يحترم زميله، إفساح المجلس له، التهادي بينهم، بالكتب، بالأقلام، بالفوائد العلمية، وهكذا، فطالب العلم مع إخوانه وزملائه يذكرونه بخير. إن بعض الناس تتمنىٰ ألفته وصحبته والرحلة والذهاب معه، لدماثة في خلقه، ونبل فيه، وكرم في يده، فتتمنىٰ لو رحل أنك له صاحب، بل خادم، لما تجد من فوائد حيوية عندما تصحبه، وبعض الناس لو يدفع لك مالًا تتعذر من صحبته، لما تجد من مشقة وعنت، شكاك، صاحب رأي استقلالي، لا يبالي في

صحبته، لا. ينبغي لطالب العلم أن يولي زملاءه الاحترام والتقدير، وأن يعمل معهم مثل ما يحب أن يعملوا معه، وأن يبادلهم بما يرغب أن يبادلوه به، «**وخالق الناس بخلق حسن**»[1]، فكما أنك تريد أن يخالقك الناس بخلق حسن، فأنت تخالق الناس بخلق حسن، يدع فحش الكلام، وبذيء العبارة، وسيئ التصرف، ودنيء الفعال، وخبيث الطباع، يترك هذا كله، وينتقي من الأمور خيارها، كما ينتقي أطايب الكلم، فهذا حال الصحابة، ينتقون أطايب الكلم كما ينتقون أطايب الطعام، إذا قدم لك طعام مما تختاره كتمر أو رطب، لا تغمض عينيك وتأكل، هو إناء واحد، تنظر، تختار هذه، ثم تختار هذه، مع أنها واحدة؛ فهذا معنىٰ أنه يختار أطايب الطعام، ليس هو هكذا يأكل، إنما يختار من الطعام أطيبه، كذلك الأصحاب تختار أفضلهم، فإن وفقت لمن هو أعلم منك، تقول: غنيمة، أستفيد من علمه، وإن وفقت لقرين لك، تقول: نعمة، أتذاكر معه، وإن وفقت لمن هو دونك، تقول: نعمة، أتذاكر وأفيده، وهكذا، ليس إذا كان أعلم منك احتقرته وترفعت من أن تستفيد منه، وإن كان قرينًا لك تنقصته، لا ، لا، مو كدة، الجواب كدة، لا، أنت غلط، الصح كدة، فهذا لا ترغب صحبته، والناس تبتعد عنه، أو إذا وجد من هو دونه أصبح - كما يقال بالعامية - تعنتر عليه، أنت ما تفهم، أنت ما تعرف، يا أخي هذه جوابها كدة، إيش فيك؟ أنت بليد، فيستخدم معه أمورًا يحتقره فيها، ويزدريه فيها، وهكذا كثير من الطلاب والزملاء لا يرغبون أن يكون لهم صاحبًا.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٠٨٤٧)، والترمذي (١٩٨٧)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٠٨٣).

مواقف ينبغي لطالب العلم أن ينتبه فيها

مواطن الفتن. الفتنة لا تستشرفها، فمن استشرف لها استشرفت له، ولذلك نهىٰ النبي ﷺ عن الإقبال علىٰ الفتن، ولكن أهل العلم يعرفونها إذا أقبلت، هذه فتنة، وأما أهل الجهل والبدع والضلال، فإذا أقبلت الفتن أقبلوا عليها، وإذا أقبلوا عليها واستشرفوها استشرفتهم، ومن الواجب ألا يقبل عليها، بل حتىٰ لو كان يجري ينصرف أو يجلس، ويبتعد عن هذه الفتن، والفتن كثيرة، ونحن في عصر فيه الفتن كثيرة، ومن أشد الفتن الآن قيل وقال، والجماعات، والجماعة الفلانية والجماعة الفلانية، وإيش يقولون، وقالوا، وقالوا، هؤلاء فعلوا، هؤلاء سووا. اتركهم، اطلب العلم، أنت عرفت أنهم علىٰ باطل، خلاص... انتهىٰ، أنت حضرت وحذرت، والأمر أصبح لك واضحًا، إذًا لا تذهب نفسك عليهم حسرات، ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦]، ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾، إنما تنشر الحق ولا تلتفت للخلق، إنما يلتفت إلىٰ الخالق وما يريد منك، وموقفه منها - هذه الجماعات والفرق - موقف المباينة والتحذير والحذر، لا الملاينة والمسايسة والتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه، هذا كلام باطل، هذا ما هو كلامًا شرعيًّا، هذا كلام سياسي، هذا كلام غش، ما هو كلامًا من مشكاة النبوة، فالنبي ﷺ يقول: «**من غشنا فليس منا**»[1]، هذا

---

(١) أخرجه مسلم (١٠١).

في البُر والطحين، كيف في الدين؟ إذا كان في الطعام والأكل: «من غشنا فليس منا»، كيف من يغش الناس في الدين؟ احْذَرْهم، هؤلاء غشاشون، فموقفه واضح من هذه الجماعات والفرق وأهل البدع، من مجالسة فيحذرهم.

أيضًا موقف طالب العلم تجاه ولاة أمره، السمع والطاعة في طاعة الله، والناس في هذا ثلاثة أصناف، منهم من هم نظرتهم نظرة رافضية، وهم يرون عصمة الولاة، أن ولي الأمر لا يخطئ، فهذه نظرة رافضية؛ لأنها ترىٰ عصمة إيش؟ عصمة الأئمة، لا يخطئون، وهناك نظرة خارجية، جميع ولاة الأمر كفار، ما فيهم خير، ولكن النظرة الشرعية أن هؤلاء ولاة أمر، لهم السمع والطاعة في طاعة الله، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. النظرة الأولىٰ الذين رأوا فيهم العصمة يرون طاعتهم في كل شيء، في الحق وفي الباطل، والذين نظرتهم خارجية قد كفروهم، فلا يرون لهم طاعة، في كل الأحوال، ولكن النظرة الشرعية القائمة علىٰ الآثار السلفية، أن طاعة ولاة الأمر في طاعة الله، وإذا عصوا أو أمروا بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق مع بقاء الولاية لهم وعدم خلع البيعة وترك الجماعة.

فالخوارج، ليس عندهم مشكلة في الأسماء والصفات، الذين خرجوا علىٰ علي بن أبي طالب، وليس عندهم مشكلة في توحيد العبادة والشركيات، لكنهم وقعوا في ثلاث: اعتزلوا الجماعة، وخلعوا البيعة، وكفروا الحاكم، فقاتلهم علي، ما أشبه الليلة بالبارحة، فما يأتي أحد من الصحابة يقول: هم سلفيون في جانب الأسماء والصفات، في جانب التوحيد والعبادة، لكن عندهم هذه الأشياء،

عندهم فهم فيها، قاتلهم علي، ولم يلتفت لما هو معه موافق، أو وافقوه، مع أن هذه أصول، لكنهم خالفوا أيضًا في أصول، خالفوا في وحدة الجماعة، وخالفوا في وحدة القيادة والبيعة؛ لأن الأمر مناط بخمس: وحدة المعبود، وحدة العقيدة، وحدة المتبوع، الاتباع للنبي ﷺ، وأيضًا وحدة القيادة، ولي الأمر، وحدة الجماعة: جماعة المسلمين، وحدة المرجع والتحاكم: كتاب الله وسنة رسوله، هذه مسائل مهمة ينبغي أن ينتبه لها.

أيضًا موقف طالب العلم من خلاف العلماء، أهل العلم يختلفون، ويقعون في شيء من الاختلاف، وهذا الاختلاف وارد، فينبغي للإنسان أن يأخذ علمه ممن يثق فيهم، إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم، لا يأخذه من بطال، أو رجل عنده بدع، ففي أهل السنة كفاية وغنية، كيف وقد تهيأت سبل التحصيل العلمي من خلال الوسائل التي استعرضناها وذكرناها؟ فما لا تستطيع الحضور بين يديه، تستطيع أن تحضر من خلال السماع وغير ذلك.

أما خلاف أهل العلم، فهناك أمور في العقيدة، وهناك أمور في العبادة، وهناك أمور في المعاملة، خلاف العقيدة لا ينبغي ومرفوض، الرجوع إلى ما كان عليه النبي ﷺ والصحابة، وأما مسائل الأحكام فينظر هل هي ممن استقر أمره وأتى الدليل فيه، فهذا يرجع فيه إلى الأدلة، وأما إن كانت مسألة النازلة للاجتهاد فيها محل، فينظر من يثق فيه، في تقواه، التحري في الدليل، وعلمه، وتضلعه في العلم، وقوته، وملكة الاستنباط عنده، وهناك مرجحات كثيرة، لا لأنه يوافق هواك، أو

يخالف هواك، لا، ربما أحيانًا تستقر نفسك لقول عالم ثقة ثبت، وإن كانت هذه الفتوىٰ لا توافق هواك، وأما أن تقدم من هو دونه؛ لأنه خالفه؛ لأن المسألة وافقت هوىٰ في نفسك، فهنا أنت لم ترجح هذا القول؛ لرؤيتك أنه علىٰ الخير، بل لأن لهوىٰ في نفسك، وهذا يقال فيه: لا تعتقد ثم تستدل، وإنما استدل ثم ابن اعتقادك، فبعض الناس يتصور شيئًا في ذهنه، ويرىٰ منعه أو جوازه، ثم يبحث من الأدلة ما يبرر منعه أو جوازه، هذا غلط، معناه أنك تبحث عما يوافق شيئًا في رأسك، ولكن أنت انظر الأدلة، ثم بعد ذلك تستجيب، فإذا جعلت هذه علىٰ محل البحث والنظر أصبح عندك صفاء، وأصبح عندك تمييز، وليس فقط تتبع ما وافق هواك.

هذه بعض الأمور المتعلقة في هذه المواقف، فأهل العلم: الناس معهم علىٰ ثلاثة أحوال: منهم من غلا فيهم، ولا يسمع أنه أخطأ، وهذا يرىٰ العصمة، ومنهم من إذا زل العالم عنده نسفه، ومنهم من هو معتدل، ما وافق الصواب قبله، وما أخطأ فيه رد عليه دون أن يزدري حقه، وهذا في العالم الذي أصوله أصول أهل السنة، وأما من كان يوافق أهل البدع، ومع أهل البدع، فيلحق بأهل البدع؛ لأنه هو الذي ألحق نفسه مع البدع وأهل البدع، لما يأتيك من يقول: إخواننا الرافضة، هو إخوانه هو، ما هم بإخوان لنا، أو أهل البدع يمجد فيهم ويصفهم بالفضائل ويقدح في حملة الآثار النبوية، ويقدح في أهل الحديث، وينبذهم بالنقائص، هذا لا شك ليس أهلًا أن يجعل في مصاف أهل العلم، بل يلحق بمن أثنىٰ عليهم، وهو الذي ألحق نفسه.

إذًا الموقف أن العالم السائر علىٰ هدي السلف ليس معصومًا، ربما يخطئ، لذلك أهل السنة في مواقفهم، خاصة العلماء، قد يختلفون ولكن لا يفترقون، وأدركنا علماء، الشيخ الألباني، شيخنا التويجري، الشيخ ابن باز، الشيخ ابن عثيمين، الشيخ محمد أمان، الشيخ مقبل الوادعي، كوكبة ولو استطردت إحصاء للأسماء يصعب ويطول المقام، بينهم خلاف في مسائل فقهية، بينهم خلاف في مسائل وقعوا فيها، بل حصل ردود علمية في هذه المسائل وفي الأحكام وفي الصلاة، حصلت ردود، أهل السنة قد يختلفون ولكن لا يفترقون، لم نعلم أنه حذر من فلان، أو حذر من فلان، أو تلاميذ فلان، أو طلاب فلان، أو كتب فلان، إنما يتكلمون ويبحثون ويبينون، وإذا تقابلوا، التقدير والاحترام والإكرام، رحمهم الله وبارك الله في الأحياء، ولا يزال هذا الأمر قائمًا والحمد لله، ولكن الذين يتأثرون بالأفكار، عندهم إحدىٰ النبرتين، إذا وقع العالم السني السلفي في زلة عندهم نسفوه، وهذه الفرقة التي ذكرتها لكم بالأمس، وجانب آخر عندهم كل من كتب كتابًا في الإسلام هذا عالم وإمام اسكتوا عنه، ولو كان فاسقًا ماجنًا حليقًا، لا يُعرف بعلم، ولا علماء، ولا دعوة، ولا أمر، إنما ما يعرف عنه إلا التكفير والضلال، وهكذا أمثال من يدافعون عن سيد قطب وكتاباته، وغيره.

العالم يعرف أنه تعلم مَن العلماء، مَن علماؤه؟ ذهب إلىٰ أمريكا، عضوًا في الكنائس يتقلب بينها، فرجع لنا بعد أيام فإذا به إمام من أئمة الدنيا، ما هذا؟ فلذلك ينبغي لطالب العلم أن يميز وأن يدرك وأن يعرف علماء السنة، فيقدر لهم

قدرهم، ويعرف لهم فضلهم، وأن يعرف أهل البدع وأهل الكلام، فلا يجاوزون قدرهم، ولذلك قيل: مَن السني؟ قال: الذي إذا ذكر أحد من أهل الأهواء لم يغضب لذلك، لم يغضب أنه ذكر، رجل مبتدع، لا يغضب له، لكن لو تُكلم في عالم من علماء السنة لغضب، ولذلك ينبغي أن تعرفوا قدر أهل العلم ومنزلتهم، وأن ما يحصل بينهم من خلاف في دائرة الاجتهاد، فهذا محل اجتهاد، وأما في محل النصوص فكل يؤخذ من قوله ويرد، وأما مسائل الاعتقاد فلا قبول فيها للخلاف.

هذا وبالله التوفيق، وصلىٰ الله وسلم علىٰ محمد.

ونختم هذا المجلس، وبه نختم هذه الدروس في مجالس في العلم.

أسأل الله تبارك وتعالىٰ أن ينفعني وإياكم بما قلنا وما سمعنا، وأن يجعلها حجة لنا لا حجة علينا، وأن يكفينا وإياكم شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا.

ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح.

اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، وعين لا تدمع، ونفس لا تشبع، ولسان لا يذكر، ودعوة لا يستجاب لها.

وصلىٰ الله وسلَّم علىٰ محمد، وبَارَكَ الله فيكم أجمعين.

❁ ❁ ❁

للصف والمراجعة والتحقيق
القاهرة – هاتف: ٠١٠٧٢١٩٥٤٣
البريد الإلكتروني: EBADALRHMAN_SFEF@YAHOO.COM

فهرس الموضوعات

مقدمة ٣
مقدمة المؤلف ٤
مجالس في العلم ٤
جملة من الآداب التي ينبغي أن يتحلىٰ بها طالب العلم ١٤
مصادر وطرق تلقي العلم ٢٤
أنموذج للمتابعة والعناية بها ٣٩
طالب العلم والكتب ٧٠
بعض ما يشين طالب العلم ٨٩
أخلاقيات طالب العلم مع من حوله ١٠٣
مواقف ينبغي لطالب العلم أن ينتبه فيها ١١٣

للصف والمراجعة والتحقيق
القاهرة – هاتف: ٠١٠٧٢١٩٥٤٣
البريد الإلكتروني: EBADALRHMAN_SFEF@YAHOO.COM

من إصداراتنا

هدي السلف الصالح

في تربية الأبناء

محاضرة للشيخ

محمد بن رمزان الهاجري آل طامي

عليها تعليقات نفيسة من أقوال السلف والعلماء العاملين

جمع وإعداد

أبي بكر المهدي المغربي

ويليه

أسباب جنوح الحدث

إعداد الشيخ

محمد بن رمزان الهاجري

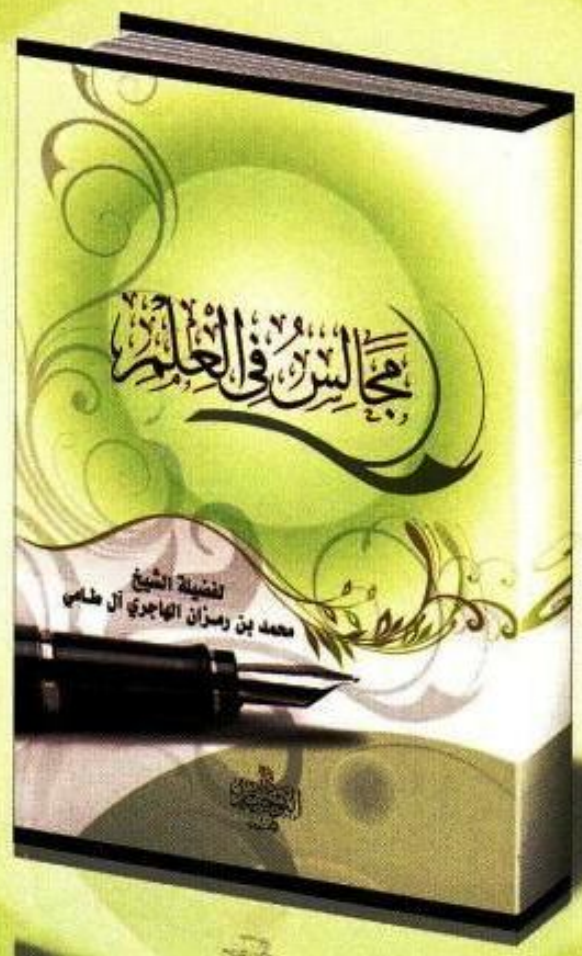

جمهورية مصر العربية - القاهرة
ش العدي المعدي - أحمد عرابي - مساكن عين شمس
ت: 0020127483263-0020185183442
تليفون وفاكس: 0020229876577
dar.aleetkama@yahoo.com
dar.aleetkama@hotmail.com

المملكة المغربية- فاس - شارع المنصور 1
هاتف المكتبة: 00212664137043- 00212656287858
wwww.dartawhid.com
Email: dar_tawhid@yahoo.com